موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(١٤)

التفاؤل

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-١٩٩-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٤)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-١٩٩-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٤)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
التفاؤل لغةً	٩
التفاؤل اصطلاحًا	١٠
الفأل الحسن	١٢
سمات المتفائل	٤٤
الطيرة والتشاؤم	٥١
أسباب التطير والتشاؤم	٦٠
الطير والتطير	٧٥
الفهارس	١٠٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

التفاؤل بالحياة حياة جديدة، وسعادة حقيقية ينعم بها الإنسان. فمن تفاءل في أمور حياته ملك قوةً لاتقهر، وسار بخطى حثيثة لتحقيق مستقبل أفضل، وتمكن - إذا ساعدته الظروف - من تحقيق معظم أهدافه إن لم يحققها بتمامها، وقد قال الرسول ﷺ: «تفاءلوا بالخير تجدوه».

فالمتفائل يرى الحياة جميلة، وكل شيء فيها ذا وجه حسن، لأنه يفسر أحداثها وفق نفسيته المتفتحة للحياة، كالزهرة التي يفوح عطرها، فيغمر الأجواء حولها، وربما وصل ريحها إلى آخرين بعيدين عنها. فالمتفائل لايسعد نفسه فقط، بل يسعد نفسه والمحيطين به بما يضفيه من جو السعادة والمرح والتفاؤل.

وليس التفاؤل كله استبشاراً بخير، إذ إن للتفاؤل في اللغة وفي الحياة عامة وجهًا آخر، هو التفاؤل السيئ أو مايعرف بالتطير والتشاؤم، ذلك الوجه من التفاؤل الذي يجعل صاحبه متردداً، يهاب كل شيء، وينظر إلى ما حوله بعين حذرة، لأنه بتطيره يخشى السوء حتى في حركات الأشياء، وسكناتها من حوله، مما يعكس نوعًا من الكآبة والتشاؤم عليه وعلى المحيطين به، الأمر الذي يدفعهم جميعًا إلى التراجع والتخاذل والقبول بالأمر الواقع،وعدم الإقدام على العمل.

وقد دفع التطير بأصحابه إلى التشاؤم بكثير من الأشياء التي حولهم، فهناك من ابتُلُوا بعاهات جسمية، أو أمراض جسدية، فإذا رآهم المتشائم انعكس على نفسيته شعور بالمكروه، وربما تخيَّل وقوع الشر به لو سمع طائراً أو رآه، وما غراب البين إلا واحد من الشواهد. وقد يتشاءم بعض الناس من كثير من الحيوانات التي ربما لا يمكنهم الحياة بدونها، والتي هي ثروتهم الاقتصادية، ومصدر حياتهم ورزقهم مثل الإبل، التي تطيروا منها، لأنها الوسيلة التي يمتطيها المسافر فيبتعد بها عن أحبابه، وأصدقائه، وأبنائه.

www.mtenback.com

وقد نشأ عن تطير العرب اهتمامهم ببعض العلوم التي يزعمون أنهم يعرفون بها مستقبل الأحداث كزجر الطير، والعيافة، والكهانة، والاستقسام بالأزلام، وكان سبب تأكيدهم على معرفة مآل الفعل الذي ينوون القيام به، القلق الذي يراود النفس الإنسانية من المستقبل، ولذلك فإنهم كانوا حريصين على محاولة فهمه، واكتشاف ما فيه من خير وشر. وكانوا يأملون من التجائهم إلى الزاجر أن ينبئهم بما يسعدهم ويبشرهم بخير عميم، إلا أنهم كثيرًا ماكانوا يفاجأون بأن الزجر أنبأهم أن العمل الذي ينوون القيام به، سيكون وبالاً عليهم، وأن عاقبته شر، فيتطيرون ويتشاءمون وتصيبهم الكآبة قبل أن يباشروا ما نووا.

وقد كانت نتيجة الفأل السيئ دافعًا لعدد من الناس إلى التقاعس عن الإقدام على العمل الذي كانوا مقبلين عليه، ولكن كثرة منهم، لم تكن تمنعهم نتيجة الزجر عن الإقدام على ماكانوا بصدده، وذلك بسبب نفوسهم المتفائلة المقبلة على الحياة على الرغم من الطبيعة القاسية التي كانت تحيط بهم من شح موارد الرزق أو قلته. فالزجر بالنسبة لهم مؤثر فاعل في واقعهم، ومنشط في حياتهم، وعلقوا الأمر على النتائج المتحصلة من العمل الذي يقومون به، فإن تحقق مايريدون، ذكروا يمن الطائر، وإن أخفقوا ذكروا شؤمه، فكانوا يرون في الزجر وسيلة يبررون بها فشلهم، ويلقون اللوم على الطائر الذي أعلمهم بتلك النتيجة مسبقًا.

وقد أدى اهتمام العرب بالزجر والعيافة إلى اختصاص عدد من القبائل العربية بهذا العلم، حتى صارت تزعم القدرة على التنبؤ والتقدير لما يمكن أن يكون أو يقع، وهذا التنبؤ يأخذ موقعه من نفس الغازي والمسافر وغيرهما. وممن اشتهر بالعيافة من العرب وزجر الطير (بنو لِهْبٍ) الذين لجأ إليهم الشاعر كثير عزة لمعرفة موقف محبوبته منه، مثلما لجأ إليهم كثيرون غيره. وعُرف بنو أسد بالعيافة والزجر، فقصدهم الناس

www.mtenback.com

للأخذ من علمهم، حتى قيل إن الجن سمعت بعيافهم، فجاءت إليهم تمتحنهم بهذا العلم. وقَبْلَهم بنو فِهْرٍ.

ويمكن القول، بَعدُ: إن للتفاؤل دوراً كبيراً في حياة العرب في جاهليتهم وإسلامهم، فإذا كان الإسلام قد منع التطير والفأل السيئ لأنه يضر بالرأي ويفسد التدبير، فإنه شجع على الفأل الحسن لما فيه من فائدة للإنسان ودفع له على الإقدام على العمل بنفس راضية، مطمئنة موقنة أن ذلك كله بيد الله وقدرته.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

التفاؤل لغة:

التفاؤل من الفأل وهو ضد الطيرة، والجمع فؤول. ويقال: تفاءلت به[1]. وأصل كلمة الفأل على مايظهر للتشاؤم والتفاؤل، أي أنها كالطيرة تعني الحالتين، ثم تخصصت بالحسن. كما تخصصت الطيرة بالشؤم. قال علماء اللغة: وقيل للشؤم: طائر وطَيْر وطَيَرَة[2].

أما الزجر: فهو النهي والمنع عن الفعل بشدة كالردع[3]. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[4]. وقال جل شأنه ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾[5]. وقد عد العلماء الطيرة والزجر في معنى واحد، لأن الأصل أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير، ثم يحكمون من حركاته على ماسيحدث ويقع، فالزجر والطيرة شيء واحد[6]. فإن تيامنت الطير دل تيامنها على فأل، وإن تياسرت دل على شؤم[7]، فالزجر يشمل التيمُّن والتشاؤم، إلا أنه خص بالتشاؤم فيما بعد وعرف به.

والتشاؤم في الواقع أوسع مجالاً، وأشمل ساحة من الطيرة، لأن التشاؤم طيرة وزيادة. فقد يتشاءم المتشائمون من أمور أخرى كثيرة، مثل التشاؤم من ذوي العاهات

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف الخياط، ونديم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب (١٩٧٠م) باب فأل.

(2) الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة (١٣٠٦- ١٣٠٧هـ) مادة طير.

(3) ابن منظور: لسان العرب، مادة زجر.

(4) سورة النازعات:.١٣، ١٤.

(5) سورة الصافات: ٢.

(6) القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المطبعة الأميرية (١٣٣٥هـ) ج١، ص ٣٩٩.

(7) ابن منظور: لسان العرب، مادة: زجر، شأم.

www.mtenback.com

أو القبح من البشر. أو من سماع الكلام السيئ أو الأخبار السيئة عند الصباح، أو من رؤية ميّت، أو سماع نياحة، أو مشاهدة مخلوق مشوّه، أو سماع اسم موضع يدعو للتشاؤم، أو اسم شخص فيه معنى التشاؤم، وأمثال ذلك. فتكون هذه الأمور مدعاة للتشاؤم عند المتشائمين[٨].

التفاؤل اصطلاحًا:

هو استقراء المستقبل في ملامح الحاضر، والشعور بالتنبؤ بما يأتي، وترقب ما سيحصل للإنسان عند سماعه شيئًا حسنًا أو رؤيته له.

والتفاؤل اسم عام يحمل اتجاهين اتجاه الأمل الذي يبعثه التفاؤل، والتشاؤم الذي يبعثه الخوف.

وقد عرف العرب بشدة التطلع للمستقبل فأثر فيهم هذا التطلع وأصبحت لديهم عادة التفاؤل بشكلها العام وبقسميها الحسن والقبيح، ومثلما جاء لفظ التفاؤل للحسن المرغوب فقد جاء لفظ التشاؤم للقبيح المرهوب. والألفاظ المشتقة من الشؤم والتشاؤم عديدة[٩]، ولايقتصر استعمالها على جنس معين، بل تقال لكل مايجلب الشؤم على الإنسان.

فمن الأشخاص من يجلب الشؤم لمن يتشاءم منهم يستوي في ذلك الرجال والنساء والأطفال. ولما كان التشاؤم قضية ذاتية تتعلق بالنفس والمزاج، كان بعض الأشخاص أو الحيوانات أو الأشياء شؤمًا عند أناس، ولايكونون كذلك عند آخرين[١٠].

---

[٨] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (د.ت) ج٣، ص٤٣٨.

[٩] انظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة شأم.

[١٠] علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، د ار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ط٢ (١٩٧٨م)، ج٦، ص٨٠٣.

www.mtenback.com

وربما كان للتطير صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقتها الأجساد. فمن المتعارف عليه عند كثير من الشعوب القديمة ومنهم العرب، أن بعض فصائل الطيور هي أرواح الموتى بعد مفارقتها الأجساد، وأنها لذلك تعي وتفهم، وأن في استطاعة بعض الناس فهم منطقها وتكليمها. ومن هؤلاء نبي الله سليمان الذي كان يحادث الطير، ومن ثم ظهرت فكرة منطق الطير. فإذا كانت الطير على هذه الصفة، ففي حركاتها وسكناتها منطق لمن لا يحسن منطقها، وهذه الحركات تشير إلى مايجب على الإنسان أن يفعله أو يتركه من أعمال[١١].

وقد كان للتطير والتفاؤل شأن كبير في حياة العرب في الجاهلية، كما كان لهما مثله في حياة شعوب أخرى كاليونان والرومان والفرس. وفي روايات أهل الأخبار أمثلة عديدة، وقعت لبعض القبائل عند إقدامها على الحرب، فخسرت لتطيرها. حتى إنهم ظنوا أنه يمكن أن يحدث من التطير النحس، ومن التفاؤل السعد[١٢]. وبذلك يمكن تقسيم التفاؤل إلى قسمين:

الفأل الحسن: وهو كل مايتفاءل الإنسان به من أمر، ويرى أنه سيحصل له من أشياء محببة ومنه التيامن، وفيه قال رسول الله ﷺ: «أصدق الطير الفأل»[١٣].

أما الفأل السيئ: فهو ما يتطير منه الإنسان، فيتوقع حدوث أمر مكروه. ومثله التشاؤم. وفيه قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة» وقال: «ليس منا من تطير»[١٤].

---

[١١] جواد علي: المفصل، ج٦، ص٧٨٨-٧٨٩.

[١٢] جواد علي: المفصل، ج٦ ، ص٧٨٩.

[١٣] ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد عاشور، القاهرة، دار الاعتصام (١٩٧٤م) باقي مسند الأنصار، حديث رقم ٢٢١٣٢.

[١٤] البخاري، أبوعبدالله محمد: صحيح البخاري، تحقيق: قاسم الرفاعي، بيروت، دار القلم (١٩٨٧م) باب الطب، حديث رقم ٥٣٢٩.

www.mtenback.com

الفأل الحسن:

غلب الفأل السيئ على العرب، ولعل سببه طبيعة بلادهم القاحلة الجرداء ومايعانون في حياتهم من متاعب، أو لأن الشر أسبق للإنسان من الخير، كما رأى عَبِيدُ ابن الأبرص الذي قال[١٥]:

الْخَيْرُ لاَيَأْتِيْ عَلَى عَجَلٍ وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلُهُ مَطَرَهْ

ومع ذلك فإن التفاؤل الحسن لم ينعدم عند العرب. فهو يمن، ومن معاني اليمن البركة[١٦]. وورد عند العرب لفظ ميمون النقيبة، وميمون الناصية. فقد كانوا يرون أن بعض الناس يجلبون الشؤم على من يراهم، وأن بعضهم تجلب رؤيته الخير لمن يراه. ويكون للحسن والقبح ولا سيما في الوجه وسائر جسم الإنسان، دخل كبير في تكوين رأي عن الشخص الذي يتشاءم أو يتفاءل منه. وقد يقع التشاؤم من الأشخاص وذوي العاهات عند وقوع الأنظار عليهم عند أول الصباح[١٧].

وليس بالضرورة أن يلازم التشاؤم صاحبه، وأن يظل المتفائل متفائلاً، فقد يتشاءم في بعض الأحيان ويتفاءل بالأشياء نفسها في أحايين مختلفة وذلك تبعًا لحالته النفسية. فإذا كان هناك طير للشؤم، فإن في المقابل طيرًا للسعد، ويرى ذو الرمة أن طير السعد إذا بدا لأصحابه استبشروا خيرًا وطابت نفوسهم، ولذلك دعا لأصحابه وأخلائه بألا لايلاقوا إلا طير السعد السانح، فقال[١٨]:

---

[١٥] الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه وصححه: محمد بهجة الأثري، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت) ج٣، ص١٠٧.

[١٦] الزبيدي: تاج العروس، مادة يمن.

[١٧] جواد على: المفصل، ج٦، ص٨٠٣.

[١٨] ذو الرمة، غيلان بن عقبة: ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، بيروت، مؤسسة الإيمان، ط٢، (١٩٨٢م) ج٣، ص١٧٥٠.

www.mtenback.com

خَلِيْلَـيَّ لا لُقِّيْتُمـــا مَاحَيِيْتُمَـــا مِنَ الطَّيْرِ إلاَّ السَّـــانِحَاتِ وَأَسْـعَدَا

ويتفاءل جرير بالخير، ويريده أن يعم عليه وعلى أخلائه، فيستأمر خليليه، ويطلب منهما الإقامة حتى يريا مابشرته به أيامن الطير في يومه الذي سيكون يومًا سعيدًا، ولن يرى فيه عسر ولا نحس، فقال[١٩]:

خَلِيْلَـيَّ مَـاذَا تَـأْمُرَانِي بِحَاجَـةٍ وَلَوْلاَ الْحَيَاءُ قَدْ أَشَادَ بِهَا صَـدْرِي

أَقِيْمَا فَإِنَّ الْيَوْمَ يَـوْمٌ جَـرَتْ لَنَـا أَيَامِنُ طَـيْرٍ لاَنُحُـوسٍ وَلاَ عُسْـرِ

والمتفائل يتفاءل من كل شيء، يتفاءل إذا رأى شيئًا أو سمع خبرًا أو قولاً أو غير ذلك، فالمريض المتفائل مثلاً إذا سمع رجلاً يقول: يا سالم، استبشر ووقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه، وطالب الحاجة إذا سمع رجلاً يقول: يا واجد، يخال نفسه حصل على ضالته، ويتوقع صحة البشرى[٢٠]. وكان العرب يتفاءلون إذا دخلوا على أعدائهم من شق اليمين، لأن ذلك بشير بانتصارهم، لأنهم يرون في اليمين اليمن، وفي اليسار العسر.

وتفاءل العرب بالأسماء، لأن الأسماء الحسنة تبعث على التفاؤل. فقد كانت العرب تسمي أبناءها بأسماء الظفر تفاؤلاً بالظفر على أعدائها، نحو غالب وغلاَّب، وبأسماء نيل الحظوظ مثل: سعيد وسعد ومسعود، وبأسماء السِّباع تفاؤلاً بالترهيب والقوة والبطش، مثل أسد وليث وذئب وضرغام. كما سموا أبناءهم بكلب وحمار وحجر وجعل، وحنظلة وقرد على التفاؤل بذلك [٢١].

---

[١٩] جرير، بن عطية: ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، القاهرة، دار المعارف، ط ٣ (د.ت) ج١، ص٤١٩.

[٢٠] الزبيدي: تاج العروس، مادة فأل، كدس.

[٢١] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص١٩٣.

www.mtenback.com

لكنهم سموا عبيدهم بمحبوب الأسماء، كفلاح، ونجـــاح، ورباح، ونحوهـــا. والسبب في ذلك ما حكي من أنه قيل لأحدهم: لم تسمون أبناءكم بشرار الأسماء نحـــو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق، ورابح؟ فقال: إنما نسمي أبناءنـــا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا[٢٢].

وكان الرجل إذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل، فإن سمع إنسانًا يقول حجرًا أو رأى حجرًا سمى ابنه به، وتفاءل بما فيه من الشدة والصلابـــة والبقـــاء والصبر. وكذلك إن سمع إنسانًا يقول ذئبًا، أو رأى ذئبًا تأول فيه الفطنـــة، والخبـــث، والمكر، والكسب [٢٣].

وقد عرف هذا النوع من التفاؤل في الإسلام، و لم ينه الرسول ﷺ عنه، وكان يقول إذا أعجبته كلمة: «أخذنا فألنا من فيك»، وقد أثر عنه أنه إذا خـــرج لحاجـــة يعجبه أن يسمع من الأسماء مثل: ياراشد، يانجيح[٢٤]. ذلك لأنه كان يتفاءل ولايتطير، لما في التفاؤل من أثر طيب في أعمال الإنسان[٢٥].

ولما قدم إلى المدينة المنورة، نزل على رجل من الأنصار، فصاح الرجل بغلاميه، ياسالم؛ ويا يسار؛ فقال الرسول: سلمت لنا الدار في يسر. وكذلك حين قـــدم جـــد سعيد بن المسيب، حَزْن بن أبي وهب، على رسول الله ﷺ، فقال له: كيف اسمـــك؟ قال: حَزْن، فقال: بل سهل. قال: ماكنت لأدع اسمًا سمتني به أمي[٢٦].

ومن التيمن والتفاؤل بالأسماء، ماذكر من أن عامر بن إسماعيل كـــان يلاحـــق مروان بن محمد، فاعترضه قوم من العرب، فسأل رجلاً منهم عن اسمه؟ فقال: منصـــور

---

[٢٢] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص١٩٣.

[٢٣] الجاحظ: الحيوان، ج١، ص٣٥٢ ومابعدها.

[٢٤] الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، إستانبول، (١٩٨١م) بـــاب السير، حديث رقم ١٥٤١؛ جواد علي: المفصل، ج٦،ص ٨٠٣.

[٢٥] ابن الأثير: النهاية، ج٣، ص١٩٥.

[٢٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج٢، ص١٣٨.

www.mtenback.com

ابن سعد، ولما سأله عن قبيلته، أعلمه بأنه من سعد العشيرة، فتبسم تفاؤلاً وتيمنًا، واستصحبه، فظفر بمروان بن محمد تلك الليلة[٢٧].

وابتدع المتفائلون من العرب طرقًا لإبعاد الطيرة من تفكيرهم، فتجاهلوا المسميات التي تبعث على التشاؤم بتسميتها بضدها من الكلمات التي لايتشاءم منها، فسموا اللديغ بالسليم تفاؤلاً[٢٨]، قال الشاعر[٢٩]:

أَرِقْتُ وَنَامَ عَنِّي مَنْ يَلُومُ ... وَلَكِنْ لَمْ أَنَمْ أَنَا وَالْهُمُومُ

كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِهَا أُلاَقِي ... إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ

وَمِنْ تَأْمِيلِ رُؤْيَةِ أُمِّ جَهْمٍ ... وَقَدْ خَفَقَتْ مَعَ الْغَوْرِ النُّجُومُ

سَلِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ ... وَأَسْلَمَهُ الْمُجَاوِرُ وَالْحَمِيمُ

ولما كانت العرب تتطير من ذكر البرص، فقد كَنَّتْ عنه بالوضح، ومنه (جذيمة الوضاح) وكان أبرصَ، وكنوا عنه بالأبرش أيضًا، وكل أبيض وضح عند العرب، يقول قائلهم: ما أكثر الوضح عندكم!! أي ما أكثر اللبن عندكم[٣٠].

ومما يتفاءل بذكره عندهم، قولهم للفلاة والبرية مفازة، لأن في ركوب المفازات والقفار الهلاك، وكان حقها أن تسمى مهلكة، ولكنهم اجتنبوا لفظ المهلكة تطيّرًا، وعكسوه تفاؤلاً[٣١]. ولبعضهم شعر في ذلك جاء فيه[٣٢]:

---

[٢٧] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د.ت) ج٣، ص١٤٤.

[٢٨] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٣٩؛ الجاسم: الطيرة والفأل، ص١٧.

[٢٩] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص ٣٣٩.

[٣٠] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص ٣٣٩.

[٣١] الأنباري، محمد بن القاسم: الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، المطبعة الحكومية (١٩٦٠م)، ص١٠٤.

[٣٢] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٣٩.

www.mtenback.com

أُحِبُّ الْفَأْلَ حِينَ رَأَى كَثِيرًا أَبُوهُ عَنِ اقْتِنَاءِ الْمَجْدِ عَاجِزْ
فَسَمَّاهُ لِقِلَّتِهِ كَثِيرًا كَتَقْلِيبِ الْمَهَالِكِ بِالْمَفَاوِزْ

ومنه قولهم للأعور «ممتع» تطيرًا من ذكر الأعور[٣٣]، وكنوا الأعمى بأبي بصير[٣٤] وسموا العشاء في العين الهُدَّبد[٣٥]. فإذا أصاب أحدهم ذلك، عمد إلى سنام فقطع منه قطعة، ومن الكبد قطعة وقلاهما وأكلهما، ويزعمون أن ذلك يذهب العشاء[٣٦]. كما كنوا الأسود بأبي البيضاء، وسموا الغراب حاتمًا، وذلك لإبعاد التشاؤم من كلمة غراب[٣٧].

والتسمية بالأضداد لدفع الطيرة عن الأذهان ليست عادة جاهلية فحسب، إنما هي معروفة في الإسلام كذلك. فقد سمى سعيد بن العاص ابنه يحيى متفائلاً أن يكون أكثر أولاده ولدًا، فكان كذلك. وقد تفاءل به وبكثرة ذريته حين سأله قائلاً: أي شيء تحله؟ قال: دجاجة بفراريجها، فقال سعيد لأبنائه: إن صدق الطير ليكونن أكثركم ولدًا، فكان كذلك[٣٨]. ولكن ذلك لم يكن يحدث دائمًا، فقد يتحقق الفأل، وقد يخيب. من ذلك أن ابن كناسة سمى ابنه يحيى ليعيش طويلاً تيمنًا بهذا الاسم، ولكنه توفي. فيئس أبوه، وأنشد قائلاً[٣٩]:

---

[٣٣] الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص٤٣٩؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٢٨ وما بعدها.

[٣٤] الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص٤٣٩؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٣٨.

[٣٥] أصل الهُدَّبد: اللبن الخاثر أي الغليظ.

[٣٦] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٤٠.

[٣٧] النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٤٣.

[٣٨] النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٤٣.

[٣٩] الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي: زهر الآداب، وثمر الألباب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الجيل، ط ٤ (د.ت) ج ١، ص٥٢٥.

www.mtenback.com

سَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللهِ فِيهِ سَبِيْلُ
تَيَمَّمْتُ فِيهِ الْفَأْلَ حَتَّى رُزِئْتُهُ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْفَأْلَ فِيهِ يَفِيْلُ

يروى أن الحجاج استبشر باسم مالك بن بشير وهو الرجل الذي أرسله المهلب ابن أبي صفرة إليه حين انتصر على الأزارقة ليبشره بالنصر فما إن دخل الرجل على الحجاج، حتى سأله عن اسمه، فأجابه الرجل: مالك بن بشير، فقال الحجاج: ملك وبشارة.

وكان أحد الشعراء يتفاءل باسمي أسْلَمَ ورَبَاحٍ للسلامة والربح، فقال[٤٠]:

وَإِذَا تَكُوْنُ كَرِيْهَةٌ فَرَّجْتُهَا أَدْعُو بِأَسْلَمَ مَرَّةً وَرَبَاحِ

وقد كان الرسول ﷺ، يتفاءل بالرجل الحسن الوجه، الحسن الاسم. وذكروا أنه كتب إلى بعض أمرائه، ألا يُبْرِد بريداً إلا حسن الوجه، حسن الاسم[٤١].

ومن أحسن ما اتصف به العرب، أن بعضهم كان يقلب التطير تفاؤلاً، فيفسر مايراه تفسيراً حسناً. ومن هؤلاء القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي صعد منبر الريّ حين قدم والياً على خراسان، فسقطت المخصرة من يده، فتطير بذلك الناس، فوضّح أنْ لا شؤم فيما حدث، بل هو داعٍ إلى التفاؤل. وخاطب أهالي خراسان قائلاً: أيها الناس، ليس كما ظننتم، ولكنه كما قال الشاعر[٤٢]:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالإِيَابِ الْمُسَافِرُ

---

[٤٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص١٣٨.

[٤١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص١٣٨.

[٤٢] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة (د.ت) ج١، ص١٤٧؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٤٠.

www.mtenback.com

وقلب الشاعر أبو الشمقمق تشاؤم خالد بن يزيد تفاؤلاً حسنًا، وذلك حين ولى الخليفة المأمون خالد بن يزيد على الموصل، فلما أراد دخولها، اندق لواؤه في درب من دروبها، فتطير لذلك، فأنشده أبو الشمقمق قائلاً:

مَاكَانَ مُنْدَقَّ اللِّوَاءِ لِرِيْبَةٍ ... تُخْشَى وَلاَ أَمْرٍ يَكُوْنُ مُبَذَّلا

لَكِنَّ هَذَا الرُّمْحَ ضَعَّفَ مَتْنَهُ ... صِغَرُ الْوِلاَيَةِ فَاسْتَقَلَّ الْمَوْصِلاَ

فسر خالد، وأمر لأبي الشمقمق بعشرة آلاف درهم[٤٣]. ولما علم المأمون بذلك زاد لخالد في ولايته جند قِنَّسْرِين[٤٤].

وثمة خبرٌ مما حدث في أثناء حكم أحمد بن طولون لمصر والشام. فقد رأى في حلمه أن النجوم تتساقط، فتطير من هذا الحلم وارتاع، فأحضر من يَعْبُرُونَ الرؤيا وسألهم عما عندهم من تفسير لمنامه، فلم يجيبوه بشيء لأنهم رأوا في ذلك شؤمًا وكارثة ستحل، وخشوا أن يقولوا ما اعتقدوا به، وما رأوه في كتبهم، فدخل عليه الشاعر الجمال فأنشده قصيدة قلبت تشاؤمه تفاؤلاً، وجعلت حلمه نعمة عليه، فقال:

قَالُوا تَسَاقَطَتِ النُّجُوْ ... مُ لِحَادِثٍ فَظٍّ عَسِيرِ

فَأَجَبْتُ عِنْدَ مَقَالِهِمْ ... بِجَوَابِ مُحْتَنِكٍ خَبِيرِ

هَذِي النُّجُوْمُ السَّاقِطَا ... تُ نُجُوْمُ أَعْدَاءِ الأَمِيرِ

فتفاءل أحمد بن طولون من قوله، واستبشر، وأمر له بصلة مرضية وخلعة سنية، وقال للحاضرين عنده: أفٍّ لكم، ما فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا [٤٥].

---

[٤٣] الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: المستطرف من كل فن مستظرف، مؤسسة عزالدين، ط١ (١٩٩١م) ص٥٢٥.

[٤٤] الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج ١، ص ١٤٧.

[٤٥] العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين: المخلاة، نسقه وفهرسه محمد خليل الباشا، بيروت، عالم الكتب، ط١ (١٤٠٥هـ) ص٥٤٢.

www.mtenback.com

كما تمكن أحد الشعراء من أن يغير تطير طاهر بن الحسين إلى تفاؤل حسن، ذلك أن الخليفة المأمون، أرسل قائده طاهر بن الحسين لقتال جيش أخيه الأمين الذي كان بقيادةِ علي بن عيسى بن ماهان. وكان طاهر بن الحسين يحمل في كمه دراهم ليفرقها على الضعفاء، ولكنه نسي وجود الدراهم في كمه، فأسبله فتبددت الدراهم وتبعثرت، فتطير طاهر بن الحسين من ذلك، لأن كلمة دراهم نصفها الأخير (هم)، وظن أن شرًا وهمًا سيصيبه في معركته هذه. ولكن أحد الشعراء المرافقين له، أنشده شعرًا قلب تطيره تفاؤلاً، وبدد همه وغمه بما قاله من شعر، جاء فيه:

هَـذَا تَبَـدُّدُ شَـمْلِهِمْ لاَ غَـيْرُهُ ... وَذَهَابُـهُ مِنَّـا ذَهَـابُ الْهَـمِّ

شَيءٌ يَكُونُ الْهَـمُّ نِصْـفَ حُرُوفِـهِ ... لاَ خَـيْرَ فِي إِمْسَـاكِهِ فِـي الْكُـمِّ

فسر طاهر بن الحسين بذلك واستبشر بالنصر[٤٦].

ومما يروى أن أحد حكام مصر دخلها في محفل كبير، ووافق يومئذ أن أصابها زلزال فتشاءم الحاكم والمحكوم، لكن الشاعر الفطن قلب ذلك الزلزال الذي سبب التشاؤم إلى علامة الخير الذي ينتظر مصر وأهلها، وذلك عندما قال:

ما زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدٍ أَلَـمَّ بِهَـا ... لكنَّها رَقَصَتْ من عدْلِكَـمْ طَرَبًـا

فسري عن الوالي وعن الناس.

ومن الحكايات التي يبدو فيها التفاؤل، أن حكيمًا من العراقيين في بغداد كان يخبر بما يسأل عنه، فلا يخطئ. فسأله رجل عن شخص محبوس: هل يطلق سراحه؟ فأجاب العراف: نعم، ويخلع عليه. قال: فقلت له: بأي شيء عرفت ذلك؟ قال: إنك لما سألتني التفت يمينًا وشمالاً، فوجدت رجلاً على ظهره قربة ماء، ففرغها ثم حملها

[٤٦] العاملي: المخلاة، ص٥٤٢.

www.mtenback.com

على كتفه. فأوّلْتُ الماء بالمحبوس، وتفريغه بالانطلاق، ووضعها على كتفه بالخلعة. قال: وكان الأمر كذلك[٤٧].

ولم يمنع رسول الله ﷺ من التفاؤل والتبرك في بعض المواقف، ومن بعض الأشياء، ذلك لأن الفأل يدفع للعمل، ويحفز على الاجتهاد، ويحرك الإنسان للخير ويبعث على النشاط في كل شيء. فقد سئل الرسول عن الدار يسكنها قوم فيكثر عددهم، وتكثر فيها أموالهم، ثم يتحولون إلى أخرى، فيقل عددهم، ويقل مالهم. فقال في الأخيرة: «ذروها وهي ذميمة»[٤٨]. وليس هذا القول منه على وجه التطير، لكن على وجه التبرك. لأن في الفأل تقوية للعزم، وبعثا على الجد، ومعونة على الظفر[٤٩].

وقد يقلب الإنسان كل ما يراه تفاؤلاً سواء الطير السانح، أو العقاب، أو الحمامة، أو الهدهد، أو الدم أو غير ذلك. قال أبو حية النميري يذكر ذلك[٥٠]:

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِيْنَ لأَرْضِنَا ... سَنِيْحٌ، فَقَالَ الْقَوْمُ: مَرَّ سَنِيْحُ

فَهَابَ رِجَالٌ مِنْهُمُ فَتَعَيَّفُوا ... فَقُلْتُ لَهُمْ: جَارَى إِلَيَّ رَبِيْحُ

عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا ... نَأَتْ نَأْيَةً بِالظَّاعِنِيْنَ طَرِيْحُ

وَقَالُوا: حَمَامَاتٌ، فَحُمَّ لِقَاؤُهَا ... وَطَلْحٌ فَنِيْلَتْ وَالْمَطِيُّ طَلِيْحُ

وَقَالَ صِحَابِي: هُدْهُدٌ فَوْقَ بَانَةٍ ... هُدًى وَبَيَانٌ بِالنَجَاحِ يَلُوْحُ

---

[٤٧] الأبشيهي: المستطرف، ص٥٢٥.

[٤٨] أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية (د.ت) باب الطب، حديث رقم ٣٤٢٣؛ مالك، بن أنس بن مالك: الموطأ، بيروت دار النفائس، ط١ (١٩٧١م) الجامع، حديث ١٥٣٩.

[٤٩] الماوردي، علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣ (١٩٥٥م) ص٣٠٥؛ ابن تنباك، مرزوق: الزجر في وجدان العرب، بحث في مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، ص١١.

[٥٠] الحصري القيرواني: زهر الآداب، ج١، ص٥٢٣.

www.mtenback.com

وَقَالُوا: دَمٌ، دَامَتْ مَوَاثِيقُ بَيْنَنَا وَدَامَ لَنَا حُلْوُ الصَّفَاءِ صَرِيحُ

ومن ضروب التنبؤ بالمستقبل تفاؤلاً: الضرب بالحصى والخط والحبوب. والكشف عن ذلك، يقوم به الرجال والنساء، ويقال للقائمين بذلك الطراق والطوارق[٥١]، وغالبًا مايكونون من الكهان[٥٢]. فإذا سئل الكاهن عن حادثة، أخرج حصيات، كان قد أعدها عنده، فيطرق بعضها ببعض، فيلوح له حينئذ مايعلم به جواب السؤال. وصورة الخط، وذلك بأن يخط في الأرض بإصبعين، ثم بإصبع، ويقول بعض الكلمات. وقد أنكر العقلاء من العرب هذا الأمر وقال قائلهم[٥٣]:

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوارِقُ بِالْحَصَى وَلاَ زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ صَانِعُ

وطريقة الخط يقوم بها رجل يسمى الحازي، ومعه غلام يحمل ميلاً، ثم يأتي إلى أرض رخوة فيخط فيها خطوطًا كثيرة بسرعة شديدة لئلا يلحقها العدد والإحصاء، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، فإن بقي خطان فهما علامة النجح، وإن بقي خط، فهو علامة الخيبة والحرمان[٥٤]، قال أحد الرجاز في الخط:

يَحْجِلُ فِيهَا مُقَلَّزُ الْحُجُولِ
بَغْيًا عَلَى شِقِّيْهِ كَالْمَشْكُولِ
بِخَطٍّ لاَمٍ أَلِفٍ مَوْصُولِ
وَالزَّايِ وَالرَّا أَيَّمَا تَهْلِيلِ
خَطَّ يَدِ الْمُسْتَطْرِقِ الْمَسْؤُولِ

(٥١) ابن الأثير: النهاية، ج٣، ص٤٠.

(٥٢) الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٣٢٣.

(٥٣) ابن الأثير: النهاية، ج٣، ص٤٠؛ ابن منظور: اللسان، مادة طرق.

(٥٤) الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ٣٢٣؛ جواد علي: المفصل، ج٦، ص٧٨٣.

www.mtenback.com

ويقصد بذلك بخط لام ألف كخط الكاهن الذي إذا سئل عن الشيء خـــط في التراب، ونظر[٥٥].

ومن قصص الفأل بالخطوط، ماروِيَ عن مصعب بن عبد الله بن الزبـــير، أنـــه حدَّث عن رجل قال: شردت لنا إبل، فأتيت حليسًا الأسدي، فسألته عنها، فقال لبنْت له: خطي، فخطت ونظرتْ، ثم انقبضَتْ وقامت منصرفة. فنظر حليس في خطهـــا، فضحك وقال: أتدري لم قامت؟ قلت: لا، قال: رأت أنك تجد إبلك، وأنك تتزوجها، فاستحيت، فقامت. قال: فخرجت فأصبت إبلي، ثم تزوجتها بعد [٥٦].

وكان للتفاؤل دور بارز في عصر العباسيين، ذلك أنهم اعتمدوا في إقامة دولتهم على عنصر التفاؤل. فقد كان علي بن عبد الله بن العباس يقول: هذا الأمر ســيكون في ولدي - ويقصد به الخلافة - وأكد قوله هذا حين دخل على الخليفة هشام بن عبـــد الملك، وكان معه ولداه قائلاً له: وليملكن ابناي هذان ماتملكه[٥٧].

ومن التفاؤل الذي دعموا به قيام دولتهم بشرى الرسول لعمه العباس، حين ولد ابنه عبد الله، وأحضره إلى رسول الله ﷺ، فأذّن له في أذنه، وتفل فيه، ودعا له قـــائلاً: «اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل» ثم دفعه إلى أبيه العباس قائلاً: «خذ إليك أبـــا الأملاك». وقد عدَّ العباسيون ذلك فألاً من الرسول ﷺ بأن الخلافة ستؤول إلى ولـــد عبدالله بن العباس[٥٨].

كما تفاءلوا بمرور مئة سنة من التاريخ، ذلك أنه على رأس كل مئة سنة يحق الله حق المحقين، ويبطل باطل المبطلين. وقد بث محمد بن علي - الإمـــام الأول للدعـــوة

---

[٥٥] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٣٢٣.

[٥٦] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص١٤٣.

[٥٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص٣٢٨-٣٢٩.

[٥٨] أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، مسند بني هاشم، حديث رقم ٢٢٧٤، ٢٨٧٥؛ بيطار، أمينة: تاريخ العصر العباسي، دمشق، جامعة دمشق، ط٤ (١٩٩٢م).

www.mtenback.com

العباسية – التفاؤل والثقة في نفوس أتباعه، مؤكداً لهم نجاح الدعوة التي يدعون إليها، فقال لهم: هذا أوان ما نأمل ونرجو من ذلك، لانقضاء مئة من التاريخ، فإنه لم تنقض مئة سنة على أمة قط، إلا أظهر الله حق المحقين، وأبطل باطل المبطلين لقول الله جل اسمه[٥٩]: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[٦٠].

كما تفاءل محمد بن علي بجعل منطقة خراسان التي تقع في مشرق الخلافة الإسلامية مركزاً لدعوته، وعلل ذلك بأنه يتفاءل بالمشرق لأنه مطلع النور الذي يضيء الدنيا. وذكر ذلك في كتاب وجهه لأصحابه، حدد لهم فيه أسماء القبائل والمدن التي يمكن الاعتماد عليها. ومما جاء في كتابه عن التفاؤل بالمشرق قوله: «وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق، وإلى مطلع سراج الدنيا، ومصباح الخلق»[٦١].

وإذا كان التطير من الطير، فإن الفأل منه أيضاً، فالطير صادقة في بشارتها، وقد تبشر بطيب العيش وطول العمر. فهذا الحسن بن هانئ، يبشر ولي العهد العباسي حين وصل إلى الخلافة، بأن خلافته ستكون خلافة خير، وأن عمره سيكون طويلاً، وذلك حسب ما بشرت به الطير، فقال[٦٢]:

قَامَ الأَمِيْرُ بِأَمْرِ اللهِ فِي البَشَرِ ... وَاسْتَقْبَلَ الْمُلْكَ فِي مُسْتَقْبَلِ الثَّمَرِ

فَالطَّيْرُ تُخْبِرُنَا وَالطَّيْرُ صَادِقَةٌ ... عَنْ طِيْبِ عَيْشٍ وَعَنْ طُوْلٍ مِنَ الْعُمُرِ

---

[٥٩] بيطار: تاريخ العصر العباسي، ص٢١-٢٢.

[٦٠] سورة البقرة: ٢٥٩.

[٦١] المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله المعروف بالبشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن (١٩٠٦م) ص٢٩٣؛ بيطار: تاريخ العصر العباسي، ص٢٣-٢٤.

[٦٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص١٤٠.

www.mtenback.com

كما تفاءل بِشْرُ بن أبي خازم بأنه سوف ينجو من عقاب أوس بن حارثة، بعد أن قبض عليه أنصار أوس، وحملوه في طريقه إليه، وذلك لأنه زجر الطير وهو في طريقه لأوس، فرأى ما يحب على الرغم من أنه بين يدي آسريه، فتغنى متفائلاً، قائلاً[٦٣]:

لَقَدْ زَجَرْتُ الطَّيْرَ زَجْـرًا لَـمْ أُلِـمْ
تَقُوْلُ قَـوْلاً غَـيْرَ أَقْـوَالِ الْحُلُـمْ

فأجابه بعض رسل أوس بن حارثة ممن اشتروه من آسريه، معقبًا له بأنه لن ينال ما بغاه من الزجر، وسيكون الندم نصيبه، والهم حليفه، فقال[٦٤]:

إِنَّكَ يَـا بِشْـرُ لَـذُو هَـمٍّ وَهَـمْ
فِي زَجْرِكَ الطَّيْرَ عَلَـى إِثْـرِ النَّـدَمْ
أَبْشِرْ بِوَقْعٍ مِثْـلِ شُـؤْبُوبِ الرَّهَـمْ
وَقَطْـعِ كَفَّيْـكَ وَبَتْـرِي بِـالْقَدَمْ
وَبِاللِّسَـانِ بَعْدَهَـا وَبِالأَشَـمْ
إِنَّ ابْنَ سُـعْدَى ذُو عِقَـابٍ وَنِقَـمْ

وتفاءل أبو ذؤيب الهذلي وغلب الفأل عليه، لأنه كان يزجي السنيح حبًا في الإياب إلى داره وأهله، ولا يتطير بالبارح، فيقول[٦٥]:

---

[٦٣] بشر بن أبي خازم الأسدي: ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسن، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ط٢ (١٩٧٢م) ص٢١٦.

[٦٤] بشر بن أبي خازم: ديوان بشر بن أبي خازم، ص٢١٥ هامش نقلاً عن مختارات ابن الشجري، ج٢، ص٢٥.

[٦٥] ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين، ومحمود أبو الوفا، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر (١٩٦٥م) ج١، ص١٣٦؛ ابن تنباك: الزجر، ص١٣.

www.mtenback.com

أَرِبْـــتُ لإِرْبَتِـــهِ فَانْطَلَقْـــــــ ـــتُ أُزْجِي لِحُبِّ الإِيَابِ السَّـــنِيحَا

وتفاءل عمر بن أبي ربيعة بالظباء السوانح، ذلك لأنه رأى أنها تبشره باللقـــاء، وقرب الموعد، فقال[٦٦]:

فَقُلْتُ: أَجَلْ لاَشَكَّ قَدْ نَبَّـــأَتْ بِـــهِ ظِبَاءٌ جَرَتْ فَاعْتَافَ مَنْ هُوَ عَـــائِفُ

كما تفاءل بخلجة العين، والظبي السانح، فقال على لسان حبيبته[٦٧]:

فَقَالَتْ لأَتْرَابٍ لَهَـــا ابْـــرُزْنَ إِنَّنِـــي أَظُنُّ أَبَا الْخَطَّـــابِ مِنَّـــا بِمَحْضَـــرِ

لَهُ اخْتَلَجَتْ عَيْنِـــي أَظُـــنُّ عَشِـــيَّةً وَأَقْبَـــلَ ظَبْـــيٌ سَـــانِحٌ كَالْمُبَشِّـــرِ

كما اعتاد بعض العرب إذا خرجوا للأسفار أن يتفاءلوا بالرجوع إلى منـــازلهم بإيقاد نار بينهم، وبين المنزل الذي يريدونه، ولم يوقدوا بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه[٦٨].

كما تفاءلوا بتعليق كعب الأرنب، واعتقدوا أن من يحمله لا تصيبه عـــين ولا سحر، وذلك لأن الجن تهرب من الأرانب، لأنها ليست من مطاياها[٦٩]. قال امـــرؤ القيس في ذلك[٧٠]:

يَـــا هِنْـــدُ لاَ تَنْكِحِـــي بَوْهَـــةً عَلَيْـــهِ عَقِيقَتُـــهُ أَحْسَـــبَا

مُرَسَّـــعَةً بَيْـــنَ أَرْسَـــاغِهِ بِـــهِ عَسَـــمٌ يَبْتَغِـــي أَرْنَبَـــا

---

[٦٦] عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة، القاهرة، الهيئة المصريـــة العامـــة للكتـــاب (١٩٧٨م) ص١٣٤؛ ابن تنباك: الزجر، ص٢٧.

[٦٧] عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص ٦٨؛ ابن تنباك: الزجر، ص٢٧.

[٦٨] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٢٤؛ جواد علي: المفصل، ح ٥، ص١٣٢.

[٦٩] النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص١٢٣.

[٧٠] امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر: ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف (١٩٦٤م) ص١٢٨.

www.mtenback.com

لِيَجْعَلَ فِي كَفِّهِ كَعْبَهَا حِذَارَ الْمَنِيَّةِ أَنْ يَعْطُبَا

وإذا كان امرؤ القيس يعتقد النفع إثر حمل كعب الأرنب، وأنه يمنع العين والسحر، فإن بعض الشعراء لم ير ذلك، فقال معبراً عن رأيه[٧١]:

وَلاَ يَنْفَعُ التَّعْشِيْرُ إِنْ حُمَّ وَاقِعٌ وَلاَ زَعْزَعٌ يُغْنِي وَلاَ كَعْبُ أَرْنَبِ

كما تفاءل العرب بتعليق سن ثعلب وسن هرة على الصبي لمنع الخطفة والنظرة عنه، ومنع الجن من الوصول إليه وإيذائه.

كما تفاءلوا بتنقيط نقط من دم السمرة بين عيني النفساء، وخط خَط على وجه الصبي المولود، ويسمى ذلك النفرات، معتقدين أن ذلك يمنع النظرة والخطفة عنهما[٧٢].

وكانت المرأة التي يعسر عليها خاطب نكاح، تتفاءل بأن الخاطب سيحضر إذا نشرت جانبًا من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور، وحجلت على إحدى رجليها، تفعل ذلك ليلاً، وتقول: يالكاح أبغي النكاح قبل الصباح، فيسهل أمرها، وتتزوج عن قرب. قال رجل لصديقه وقد رأى أمه تفعل ذلك بغية حضور خاطب، يخطبها[٧٣]:

أَمَا تَرَى أُمَّكَ تَبْغِي بَعْلاَ قَدْ نَشَرَتْ مِنْ شَعْرِهَا الأَقَلاَّ
وَلَمْ تُوَفِّ مُقْلَتَيْهَا كُحْلاَ تَرْفَعُ رِجْلاً وَتَحُطُّ رِجْلاَ
هَذَا وَقَدْ شَابَ بَنُوهَا أَصْلاَ وَأَصْبَحَ الأَصْغَرُ مِنْهُمْ كَهْلاَ

---

[٧١] النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٢٣.

[٧٢] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص٣٢٥.

[٧٣] المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٠..

www.mtenback.com

كما يتفاءلون بألا يعود إليهم الضيف الثقيل غير المرغوب فيه، إذا كسروا شيئًا من الأواني خلفه. وهذا مما يفعله بعض الناس اليوم، ويعتقدون جدواه، وما هو إلا من رواسب الماضي ولا يأتيه إلا جهلة العامة. قال بعضهم[٧٤]:

أَمَـــا وَاللهِ إِنَّ بَنِـــي نُفَيْـــلٍ لَحَلاَّلُـــونَ بِالشَّـــرَفِ الْيَفَـــاعِ

أُنَاسٌ لَيْسَ تَكْسِـــرُ خَلْـــفَ ضَيْـــفٍ أَوَانِيَهِـــمْ وَلا شُـــعَبَ الْقِصَـــاعِ

وإذا كان بعضهم يتفاءلون بكسر آنية خلف الضيف الثقيل، فإن هناك من رأى أن ذلك لا يجدي شيئًا. فقد حدث أن أحدهم كسر قدرًا خلف رجل ثقيـــل يعـــرف بأبي سواح فلم يستفد شيئًا وعاد أبو سواح وخسر هو القدر![٧٥]:

كَسَرْنَا الْقِـــدْرَ بَعْـــدَ أَبِـــي سُـــوَاحٍ فَعَـــادَ وَقَدْرُنَـــا ذَهَبَـــتْ ضَيَاعَـــا

كما تفاءل العرب بعقد السلع والعشر، فقد كانت العرب في الجاهليـــة الأولى، إذا احتبس عنهم المطر، يجمعون البقر، ويعقدون في أذنابها وعراقيبها السَّلَعَ والعُشَـــرَ، ويصعدون بها الجبل الوعر، ويشعلون النار، ويتبعونها وهم يدعون الله ويستســـقونه، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر، وإنما يضرمون النيران في أذناب البقـــر، تفـــاؤلاً للبرق بالنار[٧٦] وكل ذلك من أعمال الجاهلية.

كما تفاءل العرب بشفاء إبلهم من العُرّ، بأن يعترضوا بعيرًا صحيحًا من تلـــك الإبل، فيكووا مِشْفَره وعضده وفخذه، ويرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهب العُـــرّ مـــن إبلهم، كما كانوا يفقأون عين فحل الإبل لئلا تصيبها العين[٧٧].

---

[٧٤] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٣١. واليفاع: ما ارتفع من الأرض.

[٧٥] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٣١.

[٧٦] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص١٢٠؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص١٦٤، ٣٠١.

[٧٧] النويري: نهاية الأرب،ج٣، ص١٢١ -١٢٣؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٠٦.

www.mtenback.com

كما كان بعضهم يتفاءل بالشيب، ويجد أن الإنسان لايفقد شبابه إذا شاب فقد يكون الشايب يملك الحزم والعزم الذي لا يملكه كثيرٌ من الشباب. قال كثير عزة يمدح الخليفة عبد الملك بن مروان، ويرى أن تحت شيبه حزمًا وعزمًا[٧٨]:

رَأَيْتُ أَبَـــا الْوَلِيْـــدِ غَـــدَاةَ جَمْـــعٍ ... بِـــهِ شَـــيْبٌ وَمَـــا فَقَـــدَ الشَّـــبَابَا

فَقُلْـــتُ لَـــهُ وَلاَ أَعْيَـــا جَوَابًـــا ... إِذَا شَـــابَتْ لِـــدَاتُ الْمَـــرْءِ شَـــابَا

وَلَكِنْ تَحْـــتَ ذَاكَ الشَّـــيْبِ حَـــزْمٌ ... إِذَا مَـــا ظَـــنَّ أَمْـــرَضَ أَوْ أَصَابَـــا

وتفاءل العرب بتعليق الخرزات والأحجار، والتي منها خرزة الســـلوانة، وهـــي بيضاء شفافة تنقع في الماء، ويسقى العاشق منها، فيسلو في زعمهم عن حبه. قال أحـــد الرجاز ينكر أن السلوانة تسلي عن الحب[٧٩]:

لَوْ أَشْرَبُ السُّـــلْوَانَ مَـــا سَـــلِيْتُ ... مَـــابِي غِنَـــى عَنْكُـــمُ وَإِنْ غَنِيْـــتُ

وقال آخر:

سَـــقَوْنِي سَـــلْوَةً فَسَـــلَوْتُ عَنْهَـــا ... سَـــقَى اللهُ الْمَنِيَّـــةَ مَـــنْ سَـــقَانِي

ويبدو أنه كان سعيدًا بهذا الحب، ولكن من أشفق عليه من آلامه سقاه السلوة، فسلا عن حبه، وهو يتحسر على الحب الذي ضاع منه، ويدعو الله أن يميت من كـــان السبب في ذلك[٨٠].

---

[٧٨] كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن: ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، بـــيروت، دار الثقافـــة (١٩٧١م) ص٢٦٨. وأمرض: قارب الصواب في الرأي وإن لم يصب كل الصواب؛ الجاحظ، عمرو ابن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخـــانجي، ط٤، (١٩٧٥م) ج٤، ص٦٧.

[٧٩] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٥.

[٨٠] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٦.

www.mtenback.com

و لم تفعل السلوة مع الشمردل فعلها مع من سبقه، بل كان فعلها عكس ذلك فحين سقوه اشتد به العشق ودام، فعبر عن ذلك بقوله[٨١]:

وَلَقَدْ سُقِيْتُ بِسَلْوَةٍ فَكَأَنَّمَا قَالَ الْمُدَاوِي لِلْخَيَالِ بِهَا ازْدَدِ

وأمّا عروة بن حزام فلم تجد معه الرُّقى ولا السلوات و لم ينفعه العرافون رغم اجتهادهم[٨٢]:

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافِ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي

فَقَالا: نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ الْعُوَّادِ يَبْتَدِرَانِ

فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقْيَةٍ يَعْرِفَانِهَا وَلاَ سَلْوَةٍ إِلاَّ وَقَدْ سَقَيَانِي

ومما تتفاءل به النساء استخدام خرزة الدردبيس، لأنها في رأيهن تجعل الأزواج يميلون إليهن ويحبونهن، فيستعملنها في رقية معروفة. أنشد أحدهم يذكر خرزة الدردبيس قائلاً[٨٣]:

قَطَعْتُ الْقَيْدَ وَالْخَرَزَاتِ عَنِّي فَمَنْ لِي مِنْ عِلاَجِ الدَّرْدَبِيْسِ

كما تفاءلت النساء بأخذ تراب من موضع قدم من يحبن إذا كان سيغيب عنهن، وهُنَّ يرين أن ذلك أسرع لرجوعه. قالت امرأة تذكر أخذ تراب من موضع قدم حبيبها[٨٤]:

أَخَذْتُ تُرَابًا مِنْ مَوَاطِئِ رَحْلِهِ غَدَاةَ غَدٍ كَيْمَا يَؤُوْبَ مُسَلِّما

---

(٨١) الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٦.

(٨٢) الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٦.

(٨٣) الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٦.

(٨٤) الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٤٠.

www.mtenback.com

وقالت أخرى بعد أن أخذت ترابًا من موضع قدم حبيبها، راجية الله أن يكون رفيقه وحافظه في سفره[٨٥]:

قَالَتْ لَـــهُ وَاقْتَبَضَـــتْ مِـــنْ أَثَـــرِهْ يَا رَبِّ أَنْـــتَ جَـــارُهُ فِـــي سَـــفَرِهْ

ومما لاشك فيه، أن المتفائل يكون واقعيًا في حياته، يعيش آمنًا مطمئن البال، قال أوس بن حجر متفائلاً، مقتنعًا بعطاء الله، وبأن لكل يوم رزقه، ومايخص اليوم ســـيأتي اليوم، ومايخص الغد لابد أن يأتي غدًا[٨٦]:

وَلَسْـــتُ بِخَـــابِئٍ لِغَـــدٍ طَعَامًـــــا حِـــذَارَ غَـــدٍ، لِكُـــلِّ غَـــدٍ طَعَـــامُ

وما أجمل التفاؤل والبشاشة التي عبر عنها زهير بن أبي سُلمى قائلاً[٨٧]:

تَـــرَاهُ إِذَا مَـــا جِئْتَـــــهُ مُتَهَلِّـــــلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيْهِ الَّـــذِيْ أَنْـــتَ سَـــائِلُهْ

وتعدد الشعراء الذين تفاءلوا و لم يؤمنوا بالتطير، بل أنكروه و لم يحفلـــوا بـــه، ومنهم المُرقِّشُ من بني سدوس الذي قال مستنكرًا التطير، ذاكرًا بأنه لايتطير من الغراب ولامن غيره، لأن التفاؤل في العاقبة كالتطير! فلا شيء يدوم على الإنسان إن كان خيرًا أو شرًا، وينصح غيره بأن يبتغي الخير، ولايبالي بعقد التمائم[٨٨]:

فَلَقَـــدْ غَـــدَوْتُ وَكُنْـــتُ لاَ أَغْـــدُو عَلَـــى وَاقٍ وَحَـــاتِمْ[٨٩]

فَـــإِذَا الأَشَـــائِمُ كَالأَيَـــا مِـــنِ وَالأَيَـــامِنُ كَالأَشَـــائِمْ

---

[٨٥] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٤٠.

[٨٦] جواد علي: المفصل، ج٩، ص٤٦٨؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص١٠٤.

[٨٧] زهير بن أبي سُلمى المزني: ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح ثعلب، القاهرة، دار الكتب (١٩٤٤م) ص٦٨؛ جواد علي: المفصل، ج٩، ص٥٤٥. والمتهلل: الطلق الوجه.

[٨٨] الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص٤٣٦، ٤٤٩؛ الحصري القيرواني: زهر الآداب، ج١، ص٥٢٤.

[٨٩] الواقي: في باب الطيرة والفأل هو طائر الصُّرَد، وقيل هو حكاية صوت الطائر (وَاقِ)، والحاتم: الغراب الأسود.

www.mtenback.com

فَكَذَاكَ لاَ خَيْرٌ وَلاَ شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمْ
لاَ يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بِغَا ءِ الْخَيْرِ تَعْقَادُ التَّمَائِمْ
وَلاَ التَّشَاؤُمُ بِالعُطَا سِ وَلاَ التَّيَامُنُ بِالْمَقَاسِمْ
قَدْ خُطَّ ذَلِكَ فِي الزَّبُو رِ الأَوَّلِيَّاتِ الْقَدَائِمْ

وممن كان ينكر الطيرة ويوصي بإنكارها سلامة بن جَنْدَل، والحارث بن حِلِّزة، والخيثم بن عدي الذي مدح مسعود بن بحر الزهري بقوله[٩٠]:

وَلَيْسَ بِهَيَّابٍ إِذَا شَدَّ رَحْلَهُ يَقُولُ عَدَانِي الْيَوْمَ وَاقٍ وَحَاتِمُ
وَلَكِنَّهُ يَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقْدِمًا إِذَا صَدَّ عَنْ تِلْكَ الْهَنَاتِ الْخَثَارِمُ

فهو يمدح مسعود بن بحر الزهري بأنه ليس من المتطيرين، وأنه إذا أراد أن يمضي أمرًا يقدم عليه دون تطير أو خوف أو وجل، ولايعوقه عن ذلك بعض الأفكار السيئة، فهو لايحفل بواق ولاحاتم[٩١].

وكان زياد بن سيار الفزاري صهر النابغة الذبياني متفائلاً، لا يتطير ولا يتشاءم. فحدث أن خرج مع النابغة يريدان الغزو، فبينما هما يسيران إذ نظر النابغة فرأى على ثوبه جرادة ذات ألوان، فتطير منها، وقال: غيري الذي خرج في هذا الوجه، وعاد أدراجه، على حين أتم زياد طريقه، وغزا، وعاد سالمًا، وأنشأ يذكر شأن النابغة، فقال[٩٢]:

---

[٩٠] الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص ٤٣٧؛ جواد علي: المفصل، ج٦، ص٨٠٠؛ وينسبه الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٣٢٠-٣٢١ إلى الرقاص الكلبي، ويقول قيل لخيثم بن عدي.

[٩١] ويقصد بذلك أنه لن يتطير من الغراب ولا من طائر الصُّرد.

[٩٢] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص٣٠٤-٣٠٥؛ الحيوان، ج ٣، ص٤٤٧؛ ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط٤ (١٩٧٢م) ج٢، ص٢٦١ وما بعدها.

www.mtenback.com

تَخَبَّرَ طَيْرَهُ فِيهَا زِيَادٌ ... لِتُخْبِرَهُ وَمَا فِيهَا خَبِيرُ
أَقَامَ كَأَنَّ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ ... أَشَارَ لَهُ بِحِكْمَتِهِ مُشِيرُ
تَعَلَّمَ أَنَّهُ لاَ طَيْرَ إِلاَّ ... عَلَى مُتَطَيِّرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ
بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيءٍ ... أَحَايِينًا وَبَاطِلُهُ كَثِيرُ
وَمَنْ يَنْزَحْ بِهِ لاَبُدَّ يَوْمًا ... يَجِيءُ بِهِ نَعِيٌّ أَوْ بَشِيرُ

كما كان عروة بن الورد من المتفائلين قليلي الشكوى، فهو لا يخاف مما يحدثه الدهر، ولا يشتكي مما تجري به الأيام، ولا يذم الزمان، وقد بان ذلك من قوله[٩٣]:

فَلاَ أَنَا مِمَّا جَرَّتِ الْحَرْبُ مُشْتَكٍ ... وَلا أَنَا مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ جَازِعُ

كما تفاءل بما ستمضي به الأيام، وتمنى لو أن الله يمد في عمره حتى تتغير الظروف، وتتحسن الأحوال، ويحصل على ما يبغيه من الغنى والمال، وهو وإن حصل على كل ذلك فإنه لن يتكاسل ولن يخلد إلى الراحة، بل سيسعى ويضرب في الأرض لطلب الرزق دون تفكير في نجاح أو فشل، فالحياة نجاح وفشل، ومن فشل فعليه المواظبة حتى ينجح ويستعيد قواه، ويكون صادق العزيمة لا يخور أمام المصائب مهما كانت شديدة عاتية، ولا ينهار، فقال[٩٤]:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ ... شَكَا الْفَقْرَ أَو لاَمَ الصَّدِيْقَ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الأَدْنَيْنَ كَلاًّ وَأَوْشَكَتْ ... صِلاَتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تُنَكَّرَا
وَمَا طَالِبُ الْحاجَاتِ مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا
فَسِرْ فِي بِلاَدِ اللهِ وَالْتَمِسِ الْغِنَى ... تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْتَمُوْتَ فَتُعْذَرَا

---

[٩٣] عروة بن الورد والسموءل: ديوانا عروة بن الورد والسموءل، بيروت، دار صادر (د.ت) ص ٤٧.

[٩٤] عروة بن الورد: ديوانا عروة بن الورد والسموءل، ص٤٤.

www.mtenback.com

كما يبدو التفاؤل في شعر أبي خراش الهذلي، فهو يرى أن كرامة الإنسان وعزة نفسه فوق كل شيء فهو سيحافظ عليها حتى لو أصابه الجوع لمدة طويلة، ولو اضطر إلى شرب القراح. وهو مع ذلك سيؤثر غيره وخاصة عياله على نفسه. وصبره على نفسه وعلى عثرات الزمان نوع من أنواع التفاؤل في الحياة، فقال[٩٥]:

وَإِنِّي لأَثْوِي الْجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي ... فَيَذْهَبَ لَمْ يَدْنَسْ ثِيَابِي وَلاَجِرْمِي

وَأَغْتَبِقُ الْمَاءَ الْقُرَاحَ فَأَنْتَهِي ... إِذَا الزَّادُ أَمْسَى لِلْمُزَلَّجِ ذَا طَعْمِ

أَرُدُّ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعْلَمِينَهُ ... وَأُوثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطَّعْمِ

مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغْمٍ وَذِلَّةٍ ... وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغْمِ

ويبدو التفاؤل في شعر امرئ القيس، فهو يرى أن على الإنسان ألاّ يتهاون في تحقيق مطالبه؛ وأن يبذل جهده في سبيل ذلك مادام حيًّا، وعليه أن يعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يدرك كل مايتمناه، ولاينال غاية الآمال، ولابد له من أن يتعود على القناعة، ورضى بما يحصل عليه، فقال[٩٦]:

وَمَا الْمَرْءُ مَادَامَتْ حَشَاشَةُ نَفْسِهِ ... بِمُدْرِكِ أَطْرَافَ الْخُطُوبِ وَلاَ آلِ

كما يعبر عن الغاية نفسها، ويبدي قدرًا من التفاؤل، محاولاً إبعاد الهموم عن نفسه وعن الآخرين حين يخاطبهم قائلاً لهم: دعوا ذكر الظعائن والاشتغال بهن، وسروا أنفسكم، وأبعدوا الهم عنها بالسفر حين تصبح الشمس في كبد السماء وينتصف النهار[٩٧]:

---

[٩٥] ديوان الهذليين، ج٢، ص١٢٧؛ جواد علي: المفصل ، ج٩، ص٦١٤ .

[٩٦] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص٣٩.

[٩٧] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص٦٣. والجسرة: الناقة النشيطة التي تجسر على الهول والسير. والذمول: التي تسير سيرًا سريعًا. وصام النهار: قام واعتدل. وهجر: من الهاجرة وشدة الحر.

www.mtenback.com

فَدَعْ ذَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

ويبدو تفاؤل امرئ القيس واضحًا حين استصحب عمرو بن قميئة اليشكري إلى بلاد الروم، ليستعين بهم على الذين قتلوا أباه. ولما أيقن عمرو بن قميئة أنهما لاحقان بقيصر، وأنهما أصبحا في الدرب إليه، حنَّ إلى بلاده، واعتراه الخوف فبكى. فقال له امرؤ القيس متفائلاً[٩٨]:

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَنَ أَنَّا لاَحِقَانِ بَقيصْرَا

فَقلْتُ لَهُ لاَتَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْنَمُوتَ فَنُعْذَرَا

وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكًا بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الْغَرَانِقُ أَزْوَرَا

ويظهر حبه للحياة وتفاؤله بها، ومحاولته التمتع بما فيها من متع ولذات، ولذلك فإنه نصح من حوله بأن يتمتعوا قبل أن يموتوا.

أما الراعي النميري فيتفاءل بالطير وبما تخبر به الظباء السوانح، ذلك التفاؤل الذي جعله متأكدًا من نجاح مسعاه، فغمره البشر والتفاؤل، كما غمر كل من كان معه في الركب. وقد عبر عن تفاؤله هذا بقوله[٩٩]:

أَلَمْ تَدْرِ مَاقَالَ الظِّبَاءُ السَّوَانِحُ مَرَرْنَ أَمَامَ الرَّكْبِ وَالرَّكْبُ رَائِحُ

فَسَبَّحَ مَنْ لَمْ يَزْجُرِ الطَّيْرَ مِنْهُمُ وَأَيْقَنَ قَلْبِي أَنَّهُنَّ نَوَاجِحُ

فَأَوَّلُ مَنْ مَرَّتْ بِهِ الطَّيْرُ نِعْمَةٌ لَنَا وَمَبِيتٌ عِنْدَ لَهْوَةِ صَالِحُ

وتفاءل أبو دهمان بسبب القناعة التي تمتع بها، فهو يرى في كل أمر خيرًا، فإن حصل على مايبغيه فذاك، وإن لم يتم له ما يريد، فقد يكون في ذلك خير، وعلى أنه كان يفضل الحصول على ما يريد، فكأنه يقتدي بقول الله جل

---

[٩٨] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص٦٥-٦٦.

[٩٩] ابن تنباك: الزجر، ص١٦ نقلاً عن شعر الراعي النميري، ص ١٥٧.

www.mtenback.com

شأنه:﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[100]. وقد عبر عن ذلك شعرًا بقوله[101]:

لَئِنْ مِصْرُ فَاتَتْنِي بِمَا كُنْتُ أَرْتَجِي ... وَأَخْلَفَنِي مِنْهَا الَّذِيْ كُنْتُ آمُلُ

فَمَا كُلُّ مَايَخْشَى الْفَتَى بِمُصِيْبِهِ ... وَلاَ كُلُّ ما يرجو الْفَتَى هُوَ نَائِلُ

فَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لَقِيْتُكَ سَالِمًا ... وَبَيْنَ الْغِنَى إِلاَّ لَيَالٍ قَلاَئِلُ

أما جران العود فكان متفائلاً، ولم يثق بكل مايفعله الزاجر، ولابنتائج الزجر، فهو يرمي بالتطير والزجر عرض الحائط، ويتقدم متفائلاً لتحقيق مبتغاه، ولايهتم بالسوانح ولا البوارح بل يتهكم بها، ويتساءل ما الفائدة من سماع صوت غراب ونعيقه؟ وهل إذا رأيت ذئبًا سانحًا أترك ماكنت بقصده وأعود من حيث أتيت؟، لن يكون ذلك أبدًا. فهو يقول[102]:

وَمَاكَانَ ذِئْبٌ سَانِحٌ لِيَرُدَّنِي ... وَلاَ الطَّيْرُ فِي كَهْفٍ لَهُنَّ نَعِيْقُ

وعلى المرء أن يتفاءل بالحياة، ويظهر تعلقه بها وحبه لها، ويرضى بالواقع منها، وبقضاء الله وقدره، قال محمد بن يسير يوضح الرضا بالواقع وبقضاء الله وقدره، حتى إنه عجب من رضاه بالحال الذي يعيشه! وبالتفاؤل الذي يملكه! علمًا بأن نهاية الإنسان إلى الموت، وقد يكون من أصحاب الجنان، أو يكون عكس ذلك. وقد عبر عن رأيه هذا بقوله[103]:

عَجَبًا لِيْ وَمِنْ رِضَايَ بِحَالٍ ... أَنَا مِنْهَا عَلَى شَفَا تَغْرِيْرِ

---

[100] سورة البقرة: ٢١٦.

[101] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، تقديم علي أبو ملحم، بيروت، دار مكتبة الهلال، ط٢ (١٩٩٢م) ص٢٠٠.

[102] ابن تنباك: الزجر، ص٢٠ نقلاً عن ديوان جران العود، ص٥٣.

[103] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص١٧٩.

www.mtenback.com

عَالِمًا لا أَشُـــكُّ أَنِّـي إِلَـى عَـدْ ... نٍ إِذَامِـتُّ أَوْعَـذابِ السَّـــعِيْرِ

ولا يختلف هذا عن قول شاعر آخر[١٠٤]:

كُـلُّ امْـرِئٍ مُصَبَّـحٌ فِـي أَهْلِـهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِـن شَـرَاكِ نَعْلِـهِ

وعاش الكميت عيشة راضية، وتفاءل بالحياة، لأنه لم يكن يتطير، ولايهتم بزجر الطير. ويتساءل عن الزجر، ويرى أنه لافائدة منه، فلماذا يجعل مستقبله مرتبطًا بغـراب يطير، أو ثعلب يمر، أو سليم قرن أو أعضبه؟ وإن كان هذا سانح أو بـارح؟ فالحيـاة تسير إن سنح هؤلاء أو برحوا، وقال معبرًا عن ذلك[١٠٥]:

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُـرُ الطَّـيْرَ هَمُّـهُ ... أَطَـارَ غُـرابٌ أَمْ تَعَـرَّضَ ثَعْلَـبُ

وَلاَ السَّانِحَاتُ الْبَارِحَـاتُ عَشِّـيَةً ... أَمَرَّ سَلِيْمُ الْقَرْنِ أَمْ مَـرَّ أَعْضَـبُ!!

وتفاءل بعض الشعراء ورأوا بطلان الطيرة، وكان شأنهم في ذلك شأن الوعاظ والنساك في التقليل من قيمتها، ومن قولهم[١٠٦]:

طَـيْرَةُ النَّـاسِ لاَتَـرُدُّ قَضَـاءً ... فَـاعْذُرِ الدَّهْـرَ لاَتَشُـبْهُ بِلَـوْمِ

أَيُّ يَـوْمٍ تَخُصُّـهُ بِسُـعُودٍ ... وَالْمَنَايَـا يَـنْزِلْنَ فِـي كُـلِّ يَـوْمِ

لَيْـسَ يَـوْمٌ إِلاَّ وَفِيْـهِ سُـعُودٌ ... وَنُحُـوسٌ تَجْـرِي لِقَـوْمٍ وَقَـوْمِ

وكثير من العرب جعلوا التفاؤل ديدنهم، وابتعدوا عن التطير والزجر والعيافـة، ولم يصدقوها على الرغم من تعرضهم أحيانًا للمصائب والشر، بسبب أشياء يتطير منها غيرهم. ولكنهم أدركوا بعقولهم، ونضجهم، وحسن تفكيرهم أنه لايمكن أن يصدقـوا تيسًا قعيدًا أعضب، أو طائرًا حل على خشاش هشيمة. لأن هذه الأمور من الخرافـات

---

[١٠٤] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص ١٨٢.

[١٠٥] ابن تنباك: الزجر، ص٢٠؛ وقد نسب الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٣٢٠ هذا الشعر لضـابئ بـن حارث البرجمي.

[١٠٦] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٣٠٤.

www.mtenback.com

التي لايصدقها العقل السليم. وقد صور لنا عَبيدُ بن الأبرص هذه الصورة خير تصوير حين قال[١٠٧]:

وَلَقَدْ جَرَى لَهُمُ فَهَلْ يَتَعَيفُوا تَيْسٌ قَعِيدٌ كَالْوَلِيَّةِ أَعْضَبُ
وَأَبُو الْفِرَاخِ عَلَى خَشَاشِ هَشِيْمَةٍ مُتَنَكِّبًا إِبْطَ الشَّمَائِلِ يَنْعَبُ

وأظهر خفاف بن ندبة تفاؤلاً، ورأى أنه لن يناله سوء، ولن يتطير من أي شخص ولا مكان. إذ ما معنى أن يتطير إن رأى غرابًا ينتف ريشه؟ فقال في ذلك[١٠٨]:

وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ لَهُ كَطِيْرِ الشِّمَالِ يَنْتِفُ الرِّيْشَ حَاتِمَا

أما سراقة البارقي فطيور الأيامن ومنها الثعالب أيضًا جرت عن يمينه ببشرى الخير وفأل النجح، أما أعداؤه فلهم الأشائم بالخراب عليهم، يردفها في الشؤم صياح ابن آوى من قبل شمائلهم، فيقول[١٠٩]:

وَجَرَتْ لَهُ طَيْرُ الأَيَامِنِ غَدْوَةً وَلَهُنَّ طَيْرٌ بِالأَشَائِمِ تَنْعَبُ
صَاحَ ابْنُ آوَى عَنْ شِمَالِ خُدُوْرِهَا وَجَرَى لَهُ قَبْلَ الْيَمِينِ الثَّعْلَبُ

ويتحدى عروة بن حزام الطير والتطير، والزجر والزاجر، لأنه لايقتنع بما يقال فيها ولايتطير بها، ويتساءل باستغراب عما إذا كان الغراب الذي يسكن في الدار يتمكن من إخباره بفراق حبيبته؟! ثم يخاطب غرابين عرضا له قائلاً لهما متحديًا مقدرتهما: انهضا أيها الغرابان، وخذا لحمي إلى وكريكما وكلاني إن كنتما تستطيعان إفادتي عن شيء من الغيب عن محبوبتي[١١٠]:

---

[١٠٧] ابن تنباك: الزجر، ص٢٠ نقلاً عن ديوان عبيد بن الأبرص، ص٣.

[١٠٨] ابن تنباك: الزجر، ص١٧ نقلاً عن شعر خفاف بن ندبة، ص ٧٣.

[١٠٩] البارقي، سراقة بن مرداس الأصغر: ديوان سراقة البارقي، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١ (١٩٤٧م) ص٩٥.

[١١٠] ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم: الشعر والشعراء، تحقيق: عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١ (١٤١٨هـ) ص ٤٤٩.

www.mtenback.com

أَلاَ يَا غُرَابَـيْ دِمْنَـةِ الـدَّارِ خَـبِّرَا ... أَبِـالْبَيْنِ مِـنْ عَفْـرَاءَ تَنْتَحِبَـانِ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُـولاَنِ فَانْهَضَـا ... بِلَحْمِي إِلَـى وَكْرَيْكُمَـا فَكُلاَنِـي

وهذا لقيط بن معمر يتفاءل بالحياة ولايتطير، ويحض علـى العمـل الـدؤوب والنشاط، وعلى مقاومة الأعداء ويطلب من أفراد قبيلته إياد التكاتف حتـى يكونـوا كرجل واحد لأن في هذا التكاتف عزًا لقبيلته. فمن يستبسل في قتال أعدائه، فلابـد أن ينتصر، ويحقق الأمن والأمان، أما عدم الدفاع عن الأوطان والخوف مـن الأعـداء، والجلاء عن الأرض خوفًا من الموت، ففيه المذلة إلى نهاية العمر. والإقدام والاستبسـال يفرض علينا ألا نقعد متخاذلين لا تتحرك فينا دماء العزة ولا نخوة الرجولة، وألاّ نصدق الطائر إن طار وإن وقع. قال[١١١]:

هُوَ الْجَـلاَءُ الَّـذِي تَبْقَـى مَذَلَّتُـهُ ... إِنْ طَارَ طَائِرُكُمْ يَوْمًـا وَإِنْ وَقَعَـا
قُوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَـاطِ أَرْجُلِكُـمْ ... ثُمَّ افْزَعُوا قَدْ يَنَالُ الأَمْنَ مَنْ فَزِعَـا

وصور لَبِيدُ بن ربيعة تفاؤله بالحياة وعلمه بطبيعتها، فالحياة فيها الخير والشـر وفيها السرور والأحزان، فلابد أن ينال كلُّ إنسان شيءٌ من قوارعها ونكساتـها، فإذا كان الدهر كذلك، فلماذا يجزع الإنسان مما يصيبه؟ وهـل الطَّـرق والضَّـرب بالحصى، وزجر الطير يردان القدر؟ أو هل يتمكن الطير من معرفـة ماسـيقدره الله سبحانه. ويتحدى لبيد من لايصدقه، ويطلب منه أن يسأل زاجرات الطير، إنْ كُـنَّ عَلَى علْمٍ بوقت موت الإنسان، أو وقت هطول المطر، فيقول[١١٢]:

أَتَجْزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْـرُ لِلْفَتَـى ... وَأَيُّ كَرِيْمٍ لَـمْ تُصِبْـهُ الْقَـوَارِعُ!!

---

[١١١] ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ص ١٢٦.

[١١٢] لبيد بن ربيعة، بن مالك العامري: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، بيروت، دار صادر (د.ت) ص٩٠.

www.mtenback.com

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الضَّوارِبُ بِالْحَصَى وَلاَ زَاجِراتُ الطَّيْرِ مَاالله صَانِعُ
سَلُوهُنَّ إِنْ كَذَّبْتُمونِي مَتَى الْفَتَى يَذُوْقُ الْمَنَايَا أَوْ مَتَى الْغَيْثُ وَاقِعُ

أما ابن مفرغ الحميري فقد تفاءل تفاؤلاً قويًا، ولذلك فإنه دعا الإنسان إلى تناسي مايلاقيه من متاعب، لأن هذا من طبيعة الحياة. إذ إنها لم تصفُ لأحد، ففيها الأفراح لا تدوم، كما أن الأتراح لا تبقى كذلك. وقد كان الرجل في سجن الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فلما خرج نسي ما لقيه في السجن من متاعب، وأخذ ينظر إلى الحياة نظرة جديدة واقعية ويدعو إلى ذلك فيقول[١١٣]:

ذَرِي وَتَناسَيْ مَا لَقِيْتُ فَإِنَّهُ لِكُلِّ أُنَاسٍ خَبْطَةٌ وَحَرِيْقُ

ويتعجب جهم الهذلي ممن يتطير، ويزجر، ويتعيف، لأن الزاجر نفسه لا يعلم من الأمر شيئًا، وهو يخطئ أكثر مما يصيب لأن ما يقوله مبني على الظن والتخمين، دون معرفة بقادمات الحوادث، ولأن الغيب والمستقبل بيد الله سبحانه، فهو العالم بكل شيء. فلماذا يمترون في أمر الله وعلمه ومعرفته بالغيب، فقال معبرًا عن ذلك[١١٤]:

يَظُنَّانِ ظَنًّا مَرَّةً يُخْطِآنِهِ وَأُخْرَى عَلَى بَعْضِ الَّذِي يَصِفَانِ
قَضَى اللهُ أَنْ لاَيَعْلَمَ الْغَيْبَ غَيْرُهُ فَفِي أَيِّ أَمْرِ اللهِ يَمْتَرِيَانِ

وبالرغم من أن كثيّر عزة أبدى تطيره في عدد من أشعاره إلى العيافين من آل لِهْبٍ وغيرهم، فإنه كان في قرارة نفسه لايؤمن بالتطير والزجر. فقد ذكر أنه لايخشى ريب الدهر، ولايهابه، ولا يخوفه الطائر السانح ولا البارح لأنه لايصدقها، فهو مقبل على الحياة متفائل بها، قال معبرًا عن رأيه[١١٥]:

---

[١١٣] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٢٥.

[١١٤] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٣٢٠.

[١١٥] كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص٥٢٥.

www.mtenback.com

وَلَمْ نَخْشَ رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلاَ رَاعَنَا مِنْهُ سَنِيْحٌ وَبَارِحُ

وهذا عبد المسيح بن بقيلة الغساني يتفاءل بما ناله من الحياة وبالتجارب التي مرّ بها، حتى أصبح لايحفل بمعضلة كؤود، بل كان بعمله وجدّه يتغلب عليها حتى علا شأنه، ووصل في الشرف الثريا، ولكنه يستطرد فيقول[١١٦]:

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ حَيَاتِي وَنِلْتُ مِنَ الْمُنَى بُلَغَ الْمَزِيْدِ
وَكَافَحْتُ الأُمُورَ وَكَافَحَتْنِي فَلَمْ أَحْفِلْ بِمُعْضِلَةٍ كَؤُودِ
وَكِدْتُ أَنَالُ فِي الشَّرَفِ الثُّرَيَّا وَلَكِنْ لاَسَبِيْلَ إِلَى الْخُلُودِ

وقال أحد الشعراء ذاكرًا أن التطير والتنجيم لمعرفة المستقبل لا يجديان شيئًا، ولذلك فإنه ينصح بالتفاؤل، والرضا بقدر الله لأنه هو القادر والمقدِّر، ولاحاجة للمرء أن يراقب النجوم كلما عرض له أمر، لأن مراقبتها لا تجدي شيئًا[١١٧]:

لاَتَرْقُبِ النَّجْمَ فِي أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ فَاللهُ يفعل لاَ جَدْيٌ وَلا زُحَلُ

ومع أن العرب عرفت بزجر الطير، وباستقراء النجوم، وربطت بين حركتها في الكون ومنافعهم أو مضارهم، وأحالت ما يصيبهم من خير أو شر إلى حسن الطالع أو شؤمه، وتفاءلت حين يحسن التفاؤل بالنجم أو بالطير أو غيرهما، وبلغ ذلك الأمر منها مبلغه في جاهليتها، ولم يتخلص بعضهم من تلك العقيدة التي رسختّها طبيعة الحياة العربية بالرغم من إسلامه، ومعرفته الحقة أن الله وحده هو الذي ينفع ويضر، وأن الطير أو النجم أو سواهما لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، إلا أن ذلك الاعتقاد لم يسلم في جميع الأحوال. فهذا الخليفة العباسي المعتصم ينصحه المنجمون بأن الوقت غير مناسب

---

[١١٦] المرتضى، علي بن الحسن الموسوي: أمالي المرتضى، أو غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية (د.ت) ج١، ص٢٦٣.

[١١٧] الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٢٤٧.

www.mtenback.com

لإقدامه على حرب البيزنطيين، وأنه لو فعل في الوقت الذي نهوه عن الغزو فيه فستحل به الهزيمة، ولكنه لم يثق بالتنجيم، وحوّل ذلك إلى عمل جاد، ثقة منه بربه، وكل مقدر لابدّ سيكون، فأمر بالتجهيز لخوض المعركة، وتفاءل بنصر من الله سبحانه، وتحرك بجيشه إلى عمورية، وقاتل البيزنطيين، وانتصر على إمبراطورهم انتصاراً حاسمًا. وكان أبو تمام يرقب الموقف، فأنشد قصيدته البائية التي ذكر فيها أن الإقدام والسيف هما الفيصل بين الجد واللعب، وهما اللذان يقرران نتيجة المعركة، لاتنجيم المنجمين أصحاب الكتب، فقال[118]:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

ذلك لأن النجوم لا تملك الخير ولا الشر، والغيب لايعلمه إلا الله، وإلى هذا أشار الشاعر حين يقول[119]:

أَبْلِغَا عَنِّي الْمُنَجِّمَ أَنِّي ... كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَتْهُ الْكَوَاكِبُ

عَالِمٌ أَنْ مَا يَكُونُ وَمَا كَا ... نَ فَحَتْمٌ مِنَ الْمُهَيْمِنِ وَاجِبُ

وليس بمستغرب أن ينصح المنجمون المعتصم، إذا ما علمنا أنهم تقدموا بخدماتهم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لما عزم على المسير إلى النهروان، حيث أتاه بسام المنجم، وقال له: لا تسر في هذه الساعة، وسر في وقت كذا، قال: ولم؟ قال: لأنك إن سرت فيها أصابك ضرر شديد، وإن سرت في وقت كذا ظفرت، ولكن عليًا لم يكترث بأمره لأنه كان يتفاءل بنصر الله، فسار في بغيته، وتحقق له ما أراد[120].

---

[118] أبو تمام، حبيب بن أوس: ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة، دار المعارف، (١٩٧٢م)، ج١، ص٤٠.

[119] الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج١، ص١٤٥.

[120] الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج١، ص١٤٥.

www.mtenback.com

لقد بقيت رواسب عقدية تجنح ببعض العرب إلى تصديق المنجمين والاعتقاد بالطيرة، والتفاؤل بها، بالرغم من محاربة الإسلام لذلك كله، وهذه البقية تظهر بين الفينة والأخرى ظهوراً لا شعورياً عند أصحابها، ولكنها تحارب فوراً ويصحح المعتقد، وهكذا ينبغي ألا تترك فرصة لظهور الشرك بل يجب محاربته، وأنه ينبغي علاج هذه الحالات الشاذة في حينها كما حدث في مجلس ابن عباس رضي الله عنه، إذ سمع رجل من جلسائه نعيق الغراب فقال: خير خير فقال له ابن عباس ناهياً له عن مثل هذا القول: «لا خير ولا شر»[١٢١].

لقد تنبه ابن عباس إلى مقصد الرجل، فأحبّ أن يضع الأمر في نصابه. وأن الغراب لا ينفع ولا يضر، ولكن الله وحده الذي بيده النفع والمضرة، وهو الذي يقدر كل شيء، وليس للطائر تأثير على ما قضاه الله سبحانه.

والكهانة تؤدي دوراً بارزاً في التفكير العربي،وكان الكاهن يحكّم حتى في أدق الأمور وأكثرها خصوصية، وحكمه قد تترتب عليه نتائج سيئة، لكنهم يتحملونها إيمانًا منهم بصدق الكاهن، وانكشاف الغيب له. وهذا ما جعل امتهان الكهانة عندهم أمراً مألوفًا، وأن الخروج على أقوال الكهان وحكمهم يعرض صاحبه إلى غضبهم وإلحاق الضرر بمن يكذبهم.

وهذا الفاكه بن المغيرة المخزومي، وكان غيوراً فاتهم زوجته (هنداً بنت عتبة) في شرفها فخرج أبوها وزوجها الفاكه مع مجموعة من الرجال والنسوة من قومها لتحكيم كاهن في الأمر، فبرأ هنداً من تهمة الزنا وبشرها بأنها ستلد ملكًا يسمى معاوية. ولما خرجوا من عند الكاهن، حاول الفاكه أن يأخذ بيدها، فنزعتها من يده، وقالت له: إليك عني!! والله لأحرصن على أن يكون ذلك الولد من غيرك، فتزوجها أبو سفيان، فولدت له معاوية [١٢٢].

---

[١٢١] الجاحظ، عمرو بن بحر الجاحظ: المحاسن والأضداد، تحقيق: عاصم عيتاني، بيروت، دار إحياء العلوم (١٩٨٦م)، ص٤٩.

[١٢٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج٧، ص.ص٨٠-٨١؛ الأبشيهي: المستطرف، ص٥٢.

www.mtenback.com

والإنسان المتفائل مستبشرٌ دومًا، مهما كانت العلات التي يعاني منها، وذلك بسبب نظرته المتفائلة المستبشرة بالحياة وبما يجري فيها. فقد يكون السليم متشائمًا، وقد يكون العليل وصاحب العاهة متفائلاً، وذلك وفق نظرته إليها. كما قد يرى الأعمى المتفائل أن العمى ليس في فقد البصر وعمى العينين، بل في عمى القلب، وذلك لأن عمى العينين أهون من عمى القلب. كان هذا رأي ابن الأعرابي حين زعم أن في العمى (عمى العينين) ثلاث فوائد، هي: الأجر، والذخر، والعصمة، وهو فقير إلى هذه الصفات الثلاث، فقال ذاكرًا إياها في أبيات من الشعر[١٢٣]:

إِذَا قِيْلَ أَعْمَى قُلْتُ: إِنَّ، وَرُبَّمَا أَكُوْنُ، وَإِنِّي مِنْ فَتَى لَبَصِيْرُ
إِذَا أَبْصَرَ الْقَلْبُ الْمُرُوءَةَ وَالتُّقَى فَإِنَّ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيْرُ
وَإِنَّ الْعَمَى أَجْرٌ وَذُخْرٌ وَعِصْمَةٌ وَإِنِّي إِلَى هَذِي الثَّلاَثِ فَقِيْرٌ

ومثل ابن الأعرابي كمثل من تعرض عليه كأس من الماء مملوء نصفها، فإن سألت بعض الأشخاص عن حال الكأس، أجابك المتفائل، بأنه ممتلئ إلى نصفه،أما المتشائم فيقول إن نصفه الأعلى فارغ. فالمتفائل رأى بعينيه الأمور الإيجابية في الكأس وهو الامتلاء إلى النصف، في حين أن المتشائم لم ير سوى الجانب السلبي منها، وهو القسم الفارغ.

وعلى العموم، فإنه يتوجب على الإنسان أن يتفاءل، ويكثر من التفاؤل ما استطاع، وينظر من كل أمر إلى جانبه الإيجابي، وينتظر أن يزول عنه الهم والغم. وليعلم بأن الخير لايدوم، كما أن الشر لا يدوم أيضًا، ولابد من التفاؤل. قال أحد الشعراء[١٢٤]:

أَرَى كُلَّ رِيْحٍ سَوْفَ تَسْكُنُ مَرَّةً وَكُلَّ سَمَاءٍ ذَاتَ دَرٍّ سَتُقْلِعُ

---

[١٢٣] الجاحظ: البيان والتبيين،ج٢، ص١٩٢.

[١٢٤] الجاحظ: البيان والتبيين،ج٢، ص٢٤٢.

www.mtenback.com

وَلَسْتُ بِقَوَّالٍ إِذَا قَامَ حَالِبٌ لَكَ الْوَيْلُ لاَتَجْهَدْ لَعَلَّكَ تَرْضَعُ
وَلَكِنْ إِذَا جَادَتْ بِمَادُونَ حَلْبِهَا جَهَدْنَا وَلَمْ نَمْدُقْ بِمَا نَتَوَسَّعُ

سمات المتفائل:

الإنسان المتفائل يلقى الناس بما يحبون، وبما يحب أن يُلْقى به، فحسن اللقاء أفضل من العطاء. قال بعض الحكماء لابنه: يابني، عليك بالترحيب والبشر، وإياك والتقطيب والكبر، فإن الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون، ويحرموا من أن يلقوا بما يكرهون ويعطوا، فانظر إلى خصلة غطَّت على مثل اللؤم فالزمها. وانظر إلى خصلة عفت على مثل الكرم فاجتنبها[١٢٥]، ألم تسمع إلى قول حاتم الطائي[١٢٦]:

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيْبُ
وَمَا الْخِصْبُ لِلأَضْيَافِ أَنْ تُكْثِرَ الْقِرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيْمِ خَصِيْبُ

وقال محمود الوراق يذكر المعنى نفسه[١٢٧]:

مَنْعُ الْعَطَاءِ وَبَسْطُ الْوَجْهِ أَحْسَنُ مِنْ بَذْلِ الْعَطَاءِ بِوَجْهٍ غَيْرِ مُنْبَسِطِ

ومن سمات المتفائل التوكل على الله. لأن الإنسان المتفائل يؤمن بالله ويتوكل عليه في أعماله كلها، وفي قيامه وقعوده. فالله وحده القادر على إسعاد عباده، وإغداق النعم الظاهرة والباطنة عليهم. فما الذي يفيد الإنسان مع وجود الله والتوكل عليه من أن ينتظر طيرًا سانحًا أو بارحًا ليعلمه بما سيأتي؟ وعليه إذا عزم على أمر أن يقوم بأسبابه،

---

[١٢٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٧٥.

[١٢٦] الطائي، حاتم بن عبد الله: ديوان حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره، صنعه يحيي بن مدرك الطائي، ورواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة، مطبعة المدني (د.ت) ص٣٠٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٧٥.

[١٢٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ١٧٥.

www.mtenback.com

وله في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[١٢٨].وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[١٢٩] خير معين.

فإذا كان الإنسان يزجر الطير من أجل الرزق، فليعلم بأن الذي يرزق الطير هو الذي يرزق الإنسان. جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[١٣٠]. قال أحد الشعراء يذكر تفاؤله، وأنه لايعتقد بالنجوم منفعة ولامضرة، كما أنه لايؤمن بأن نعيب الغراب يجلب يمنًا وخيرًا، أو شؤمًا وشرًا، ولكنه يتوكل على الله في أموره كلها، فهو مؤمل في ربه، متفائل بأنه سيصل بحول الله إلى مراده[١٣١]:

وَلَسْتُ بِمُشْفِقٍ مِنْ ضُرِّ نَجْمٍ ... وَلَا أَرْجُو الْمَنَافِعَ فِي النُّجُومِ

وَمَا نَعَبُ الْغُرَابَ لَنَا بِيُمْنٍ ... وَمَا نَعَبُ الْغُرَابِ لَنَا بِشُومِ

كما قال آخر يخاطب نفسه ليقنعها بألا تجزع من البين والفراق، ولتتحمل بالصبر وتتحلى بالتوكل، لأن الإنسان لايملك دفع ماكتب له. وماعليه إلا أن يواجه ما يحدث له بنفس راضية قانعة وبروح ملؤها التفاؤل، والرضا بالواقع، المبني على الاتكال على الله سبحانه، فلا تطير، ولا زجر، ولا نحس، فكل ما قدّر للمرء كائن واقع، وليس لقضاء الله وقدره من رادٍّ، يقول الشاعر[١٣٢]:

---

[١٢٨] سورة آل عمران: ١٥٩.

[١٢٩] سورة الطلاق: ٣.

[١٣٠] أحمد بن حنبل: مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث رقم ٢٠٠.

[١٣١] الأصبهاني، أبوبكر محمد بن داود: الزهرة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الأردن، مكتبة المنار، ط ٢ (١٩٨٥م) ج١، ص٣٤١.

[١٣٢] الأصبهاني: الزهرة، ج ١، ص٣٤١.

www.mtenback.com

أَيَا قَلْبُ لاَتَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ واصْطَبِرْ فَلَسْتَ لِمَا يُقْضَى عَلَيْكَ بِدَافِعِ
تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا يُجِرْكَ وَدَعْنِي مِنْ نُحُوسِ الطَّوَالِعِ
فَكُلُّ الَّذِي قَدْ قَدَّرَ اللهُ وَاقِعٌ وَمَا لَمْ يُقَدِّرْهُ فَلَيْسَ بِوَاقِعِ

أمَّا الطيرة فإنها لا تجلب إلا الخسران، وعلى المرء أن يدرك أن الأمور كلها بيد الله فليكن متفائلاً لا متطيراً. قال أحد الشعراء[١٣٣]:

اَلزَّجْرُ وَالطَّيْرُ وَالْكُهَّانُ كُلُّهُمُ مُضَلِّلُونَ وَدُوْنَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

ومما يلحق بالتوكل على الله ويشعر المرء بالسعادة والرضا، ويعكس مشاعر التوكل في صورة من التفاؤل الحميد، البعيد عن التواكل والاستسلام، هو الجدّ المقرون بالعمل وحب التطلع إلى ما هو أحسن، دون ترك الأمور تحركها الحظوظ بحجة التوكل على الله، فالله يحب المرء العامل الذي يعلق النجاح بتوفيق الله، ويؤمن بأن ما لم يصل إليه إنما كان بقدر الله وقضائه، لا عن تقصير أو تخاذل. إنه متفائل بالنجح بعيد عن الطيرة، مطمئن أن المقدور سيقع لأن الله وعد عباده فقال: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [١٣٤].

فالإيمان بقضاء الله وقدره من أعظم شعب الإيمان، وهو من العوامل الإيجابية التي تجعل الإنسان ينظر إلى المستقبل دون خوف أو وجل، ويقبل على عمله ويقوم بمسؤولياتهَ كلها، واثقًا بأن عمله لن يذهب سدى، فإن نجح فقد حقق هدفه ومراده، وقطف ثمرات سعيه المتواصل للنجاح. وهو يقبل على المستقبل متفائلاً، وكله ثقة بأن الله سيهيئ له الفرصة للفوز والنجاح، وتحقيق الأهداف. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ

---

[١٣٣] العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تقديم: إبراهيم محمد الجمل، نسخة مصححة ومدققة على نسخة الشيخ عبد العزيز بن باز (د.ط.ت) ج١٠، ص٢٣٥.

[١٣٤] سورة البقرة: ١١٧، وآل عمران: ٤٧.

www.mtenback.com

مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾[١٣٥].

وإذا كان المرء يعلم حقًا أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، فكيف يثق بالزجر والزاجر، ثم لم الطِّيرة؟ وهل الطير يعلم الغيب، حتى يحمل خبره إلى الإنسان؟ قال أحدهم يذكر أن الطير لا تجلب إلا الثبور، وأن ما يحدث من موافقة الزجر لما يريده أحيانًا، إنما يحدث بعامل الصدفة، والباطل كثير، فلا الزجر ولا العيافة على يقين بالغيب لتنقله إلى الإنسان، بل إن الإنسان أقوى من الطير وأذكى منه، بل هو أفضل من كثير من خلق الله، ومن حقه أن يتفاءل ويسند أمره كله إلى خالقه. يقول الشاعر[١٣٦]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ العَائِفَيْنِ وَلَوْ حَوَتْ ... لَكَ الطَّيْرُ عَمَّا فِي غَدٍ عَمِيَانِ

يَظُنَّانِ ظَنًّا مَرَّةً يُخْطِئَانِهِ ... وَأُخْرَى عَلَى بَعْضِ الَّذِي يَصِفَانِ

قَضَى اللهُ أَلاَّ يَعْلَمَ الْغَيْبَ غَيْرُهُ ... فَفِي أَيِّ أَمْرِ اللهِ تَمْتَرِيَانِ؟

فليس زجر الطير بنافع إن لم يقدر الله للمرء نفعًا، ولا تركه بجالب مضرة إن أراد الله به نفعًا، وإن من يعلق نتائج الأمور على الطير، ويقرن ما يحصل له بزجرها، فإنه لا شك مشؤوم ظالم لنفسه مبين. يقول علقمة الفحل[١٣٧]:

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغِرْبَانِ يَزْجُرُهَا ... عَلَى سَلامَتِهِ لابُدَّ مَشْؤُومُ

---

[١٣٥] سورة الحديد: ٢٢-٢٣.

[١٣٦] الأصبهاني: الزهرة، ج١، ص٣٤١.

[١٣٧] علقمة الفحل: ديوان علقمة الفحل، بشرح الأعلم الشنتمري، ويليه جملة مما لم يذكر من شعره في هذا الشرح، تحقيق: لطفي الصقال و درية الخطيب، حلب، دار الكتاب العربي، ط١ (١٩٦٩م) ص٦٧.

www.mtenback.com

وعجيب أمر الإنسان الذي يعتقد في الطير ويصدق الزجر في أمور لا يعلمها إلا الله، وكان حريًّا به أن يعمل ما ينبغي له عمله، ثم يعلق النتائج على إرادة الله وحده، دون أن يقرنها بشؤم طائر أو نحس زاجر أو شيء من ذلك، قال أحدهم[١٣٨]:

لاَ يَعْلَمُ الْمَرْءُ لَيْلاً مَا يُصَبِّحُهُ ... إِلاَّ كَوَاذِبَ مَا يَجْرِي بِهِ الْفَالُ

الْفَأْلُ وَالزَّجْرُ وَالْكُهَّانُ كُلُّهُمُ ... مُضَلِّلُوْنَ وَدُوْنَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

فما خط في السطور هو الذي سيواجهه الإنسان، ولذلك فيتوجب عليه أن يتفاءل، ويعيش حياة طبيعية ولا يهتم لغراب ولا لتميمة ولا لغيرها.

إن من يتوكل على الله، ويؤمن بقضائه وقدره، وبعلمه بالغيب، ويثق بأن نعم الله كثيرة، لا يمكن أن يتطير، أو يعمل على زجر الطير، لأنه إن فعل، فهو يعمل بنقيضين، ذلك لأن الإيمان بالله والتوكل عليه يمنعانه من الإيمان بالزجر والتطير.

وقد كان أحد الشعراء يتعجب ممن يصدق بأن غراب البين قادرٌ على أن يفرق بين المحبين، وهو لا يستطيع أن يفعل لنفسه شيئًا. ويرى الشاعر أن الأمر والقول الفصل للإقدام والعمل الجاد، الذي يبعث التفاؤل، ويساعد على تحقيق الأهداف. وعلى الإنسان ألا يتطير، وأن يقدم للقيام بما يريد، لأن الإقدام هو الفيصل في الأمر. فقال[١٣٩]:

أَتَرْحَلُ عَمَّنْ أَنْتَ صَبٌّ بِمِثْلِهِ ... وَتَلْحِي غُرَابَ الْبَيْنِ إِنَّكَ تَظْلِمُ

أَقِمْ فَغُرَابُ الْبَيْنِ غَيْرُ مُفَرِّقٍ ... وَلاَ يَأْتَلِي إِلاَّ عَلَى الْفَصْلِ يَحْكُمُ

خلق الإنسان مؤملاً بالحياة الفضلى، باذلاً جهده من أجل الترقي بأحواله، ناظرًا إلى المستقبل بروح ملؤها التفاؤل، فمن يأمل يتفاءل بأنه سيحصل على ما ينبغي،

---

[١٣٨] الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٥٠؛ الأبشيهي: المستطرف، ص ٥٢٣؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٣١٩؛ ابن تنبالك: الزجر، ص٩.

[١٣٩] الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ٥٠.

www.mtenback.com

ويتوقع حصول الخير وعسى أن يجده، فالفأل والأمل قرينان، وقد خلق الإنسان وخلق معه الأمل وصار أمله يحمله لبلوغ السعادة في هذه الحياة، لكنه يحول الرجاء إلى عمل وجد للوصول إلى ما يخبئه المستقبل من خير أو شر، ولولا الأمل لعاش الإنسان بروح الأموات دون عمل أو شعور بالحيوية والتمتع بالحياة كما أراد الله أن يتمتع بها. كما قال الشاعر:

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالآمَالِ أَرْقُبُهَا ... مَا أَضْيَقَ الْعَيْشَ لَوْلاَ فُسْحَةُ الأَمَلِ

ومن القصص الطريفة عن الأمل والصبر عليه حتى يتحقق لصاحبه ما يريده، ما جاء به الجاحظ عن مورق العجلي، الذي قال: «لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها ولا يئست منها، فقيل لمورق: ماهي؟ قال: ترك مالا يعنيني»[١٤٠].

ومما يلحق بالطيرة والزجر وما يتصل بها من التفاؤل والشؤم اعتقاد بعض العوام في استمداد القوة من بعض المخلوقات، كأن يحسن للجبان أكل قلب الأسد ليكتسب الجرأة والشجاعة والقوة، لأن الأسد أقوى الحيوانات وأشجعها، أو أن يقنع بقطعة من سبع فيكتسب قدرًا من الشجاعة والقوة، في حين أنهم يعلمون أن الشجاعة الحقيقية تنبع من الذات ولا تؤكل أو تشترى، فمن كانت طبيعته قوية التكوين والخلق برزت تلك الصفات في المواقف المناسبة، ومن كان جبانًا لم ينفعه قلوب أسود الغاب كلها، أو أكل قلوب الوحوش مجتمعة، يقول الشاعر[١٤١]:

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَلْبُ الْفَتَى غَدْوَةَ الْوَغَى ... أَصَمَّ فَقَلْبُ اللَّيْثِ لَيْسَ بِنَافِعِ

وَمَا نَفْعُ قَلْبِ اللَّيْثِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى ... إِذَا كَانَ سَيْفُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِقَاطِعِ

---

[١٤٠] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص ١٢٥.

[١٤١] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص ٣٢٣.

www.mtenback.com

وقد تهكم أحد العرب بنفسه، لأنه أكل قلب الأسد ليكون شجاعًا، فعدا عليه نمر فجرحه، فقال ذاكرًا ذلك[١٤٢]:

أَكَلْتُ مِنْ اللَّيْثِ الْهَصُورِ فُؤَادَهُ ... لأُصْبِحَ أَجْرَأَ مِنْهُ قَلْبًا وَأَقْدَمَا

فَأَدْرَكَ مِنِّي ثَأْرَهُ بِابْنِ أُخْتِهِ ... فَيَالَكَ ثَأْرًا مَا أَشَدَّ وَأَعْظَمَا

وقال أحد الشعراء يصف جبانًا وينصحه بألا يتفاءل بقدوم الشجاعة إلى قلبه حين أكل لحم السباع، لأنه جبان خوّار، وسيبقى كذلك[١٤٣]:

أَبَا الْمَعَارِكِ لاَ تَتْعَبْ بِأَكْلِكَ مَا ... تَظُنُّ أَنَّكَ تَلْقَى مِنْهُ كَرَّارَا

فَلَوْ أَكَلْتَ سِبَاعَ الأَرْضِ قَاطِبَةً ... مَا كُنْتَ إِلاَّ جَبَانَ الْقَلْبِ خَوَّارَا

ومن علامات تفاؤل الإنسان قوة إرادته، وصبره وتحمله للمشاق، وثقته بأنّ وراء صبره وانتظاره فرجًا قريبًا. قال أحد الشعراء يذكر أن ما بعد الضيق هو الفرج[١٤٤]:

إِذَا تَضَايَقَ أَمْرٌ فَانْتَظِرْ فَرَجًا ... فَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ مِنَ الْفَرَجِ

وإذا كان التفاؤل حسنًا، فلا بدّ أن يكون مع التفاؤل أسباب النجاح والاستعداد للموقف حين تتغير الحال، وهنا يكون التفاؤل في موضعه، فإذا لم يكن ذلك فقد يعرض المتفائل نفسه للسخرية والتهكم، كما قال الشاعر فيمن يعلل نفسه بما لا يكون، فيفعل فعل المائق الأحمق[١٤٥]:

أُعَلِّلُ نَفْسِي بِمَا لاَ يَكُونُ ... كَمَا يَفْعَلُ الْمَائِقُ الأَحْمَقُ

---

[١٤٢] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص٣٢٣.

[١٤٣] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص٣٢٣.

[١٤٤] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٢٣٧، تقديم على أبو ملحم.

[١٤٥] الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٢٣٩، تقديم على أبو ملحم. والمائق: الشديد الغباء.

www.mtenback.com

وعلى الإنسان أن يدرك أن الدنيا دار ابتلاء، مثلما هي دار رخاء ونعيم، وأن البلاء لا يدوم ولا النعيم يدوم. وعلى المبتلى أن يصبر، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وليعلم بأن الصبر على البلاء، والتفاؤل بنتائجه قد يؤولان بالإنسان إلى خير، فإن أصابه مكروه لم تكن وطأته عليه قاسية، إذ إن نفسه تتقبّله بحكم الإيمان بالقضاء والقدر، وقناعتها بأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها.

إلا أن الصبر لا يعني الاستسلام للأوهام والآلام، بل هو الجلد وقوة التحمل، وحسن التعايش مع الصعوبات، وكيفية مقاومتها، والالتفاف حولها دون الإذعان لها. وقد تكون الظروف حربًا على المرء فلا يستسلم ولا يخضع، ويكون حبه للحياة وقوته، الأمل الذي يمده بالنصر على المصاعب، ويخرجه من دوامة الخوف ووسوسة النفس الأمّارة بالسوء.

الطيرة والتشاؤم:

سبق القول: إن الفأل قسمان، قسم حسن وآخر سيّئٌ، وإن الحسن هو مواجهة الأمور بما يلائمها فالخير يتلقى بالشكر، والشرُّ يقابل بالصبر، وكل ذلك يصدر عن قناعة بأن ما قدّر كائن، وأن النفع والضر مكتوبان في الأزل.

أمّا الوجه السيئ في الفأل فهو المعروف بالطيرة أو التشاؤم، يقول الجاحظ: «وأصل التطير إنما كان من الطير ومن جهة الطير إذا مر بارحًا أو سانحًا، أو رآه يتفلى وينتف، حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم، أو الأعضب، أو الأبتر زجروا عند ذلك، وتطيروا عندها، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال». فكان زجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء[١٤٦].

---

[١٤٦] الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص٤٣٨.

www.mtenback.com

والطيرة فاشية في العرب، وقد وقفوا أمامها بين مغلّب لها، موقن بجدواها، معلق آماله كلها بها، وبين ساخر من معتقديها، كافر بقدرتها على اختراق الحجب إلى الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، كل ذلك يصوره شعرهم، فمن قائل وهو يُبكّتُ خصمه ويهزأ منه، ويقرعه بأن الطير لم تنفعه، وأن من أشار عليه قد أخطأوا التقدير حين زينوا له لقاء خصمه(١٤٧):

وَمَا صَدَقَتْكَ الطَّيْرُ يَوْمَ لَقِيْتَنَا ... وَمَاكَانَ مَنْ دَلاَّكَ فِيْنَا بِخَابِرِ

ومن معلق على الطير كل آماله، مستخبراً إياها عن الحبيب ويرى أن الطير من أعلم الخلق بمحبوبته، فما ستقوله عنها حق، ورجاها ألا تبخل عليه بعلمها، فإن بخلت فتباً لها، ورجا أن تهلك أو يحل بها مكروه يكسر أجنحتها فلا تقوى على الطير بعد ذلك. يقول قيس بن ذريح(١٤٨):

أَلاَ يَا غُرَابَ الْبَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّنِي ... بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيْرُ

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بِشَيْءٍ عَلِمْتَهُ ... فَلاَ طِرْتَ إِلاَّ وَالْجَنَاحُ كَسِيْرُ

وقد ذكر الماوردي أنه قلما يخلو من الطيرة أحد، لاسيما من عارضته المقادير في إرادته، وصده القضاء عن طلبته، فهو يرجو واليأس عليه أغلب، ويأمل والخوف إليه أقرب، فإذا عاقه القضاء وخانه الرجاء، جعل الطيرة عذر خيبته، وغفل عن قضاء الله عز وجل ومشيئته، فإذا تطير أحجم عن الإقدام ويئس من الظفر، وظن أن القياس فيه مطرد، وأن العبرة فيه مستمرة، ثم يصير ذلك له عادة، فلا يتم له قصد(١٤٩).

وهذا القول تعليل واضح لسبب الشؤم وتحليل منطقي لجالب الحزن، فالإخفاق في المطالب وتكرار النكبات على المرء يدفعانه إلى التطير، إلا أن يكون صلب العود

---

(١٤٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص١٤٠.

(١٤٨) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٤٥٣.

(١٤٩) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٣٠٤.

www.mtenback.com

قوي العزيمة لايلين ولا يترك للضعف سبيلاً إلى قلبه، وأخلق بمن هذا شأنه أن يحدث التفاؤل في نفسه مايغير حياته ويبدل فشله نجاحًا وحرمانه عطاء.

وقد جعل العرب جنس الطير ملازمًا للزاجر، حتى لكأن مع كل زاجر طيره الخاص به. وهذا لبيد بن ربيعة العامري يقرن الطير بصاحبه، فيقول[١٥٠]:

لَوْ كَانَ يَزْجُرُ طَيْرَهُ لَجَرَتْ لَهُ ... طَيْرُ السَّنِيحِ بَغَمْرَةٍ وَطِعَانِ

استخدم العرب في الزجر العديد من الألفاظ، مثل سنح وبرح، أو البارح وهي ضد السانح، والسانح ما مرَّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك. والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمي والصيد. والبارح ما مرَّ من يمينك إلى يسارك والعرب تتطير به لأنه لايمكنك أن ترميه حتى تنحرف[١٥١]. ثم الجابه وهو ما استقبلك من تجاهك، والقعيد الذي يأتيك من خلفك [١٥٢].

وكان العرب يزجرون كل الطير إلا الرخم، قال الشاعر الكميت يذكر ذلك أثناء هجائه لأحدهم[١٥٣]:

أَنْشَأْتَ تُنْطِقُ فِي الأُمُورِ ... كَوَاغِدِ الرَّخَمِ الدَّوائِرِ

إِذْ قِيْلَ يَارَخَمُ انْطِقِي ... فِي الطَّيْرِ إِنَّكِ شَرُّ طَائِرِ

فَأَتَتْ بِمَا هِيَ أَهْلُهُ ... وَالْعِيُّ مِنْ شَلَلِ الْمُجَاوِرِ

وكانت العرب إذا أرادت أن تعمل عملاً عمدت إلى الزجر وهو رمي الطير بحصاة، ثم يصيح الرامي ليفزعها ويزجرها، وعندئذ يراقب حركة طيرانها، فإذا

---

[١٥٠] لبيد بن ربيعة: ديوان لبيد بن ربيعة، ص١٤٢؛ ابن تنباك: الزجر، ص١٩.

[١٥١] ابن الأثير: النهاية، ج١،ص ٨٥؛ جواد علي: المفصل، ج٦،ص٧٩٠.

[١٥٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ١٣٩.

[١٥٣] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣١٣ نقلا عن ديوان الكميت.

www.mtenback.com

تيامنت – أي مرت يمنة – تفاءل، وإن تياسرت تشاءم به، فالتيمن بالتيامن، والتشاؤم بالتياسر[١٥٤].

والعرب تختلف في التيمن بالسانح والتشاؤم بالبارح، فأهل نجد يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح، وعلى العكس من ذلك أهل الحجاز[١٥٥]. ومن العرب الذين يتيمنون بالبارح، ويتشاءمون بالسانح أهل العالية. ولم يكن لبعض العرب رأي في ذلك [١٥٦]. وقد بلغ الخلاف بالسانح والبارح أَوْجِه، حيث نرى أن شعراء نجد أنفسهم اختلفوا في التطير من السوانح أم البوارح. قال ذو الرمة وهو من نجد يتشاءم بالسوانح[١٥٧]:

خَلِيْلَيَّ لا لُقِّيْتُمَا مَا حَيِيْتُمَا ... مِنَ الطَّيْرِ إلاَّ السَّانِحَاتِ وَأَسْعُدا

وقال النابغة الذبياني[١٥٨]:

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا ... وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الْغُرَابُ الأَسْوَدُ

وكُثَيِّرٌ يصور تأثير السوانح في الفكر وقلب النتائج، وكان يحب الفأل ويكره أن تبلغه الطير ما لا يحب سماعه من موت عبد العزيز بن مروان فقال[١٥٩]:

---

[١٥٤] الزبيدي: تاج العروس، مادة طير.

[١٥٥] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، القاهرة، دار الكتب، (د.ت) ج٩، ص١٥٧ أخبار النابغة ونسبه؛ جواد علي: المفصل، ج ٦، ص٧٩٠؛ ابن تنباك: الزجر، ص٢٧-٢٨.

[١٥٦] ابن رشيق: العمدة، ج٢، ص ٢٦٣؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص ٣١٢.

[١٥٧] ذو الرمة: ديوان ذي الرمة؛ ج٣، ص١٧٥٠؛ وورد الشطر الثاني من البيت عند جواد علي: المفصل،ج٦، ص٧٩٠ (من الطير إلا السانحات واسوأ).

[١٥٨] جواد علي: المفصل،ج٦، ص٧٩٠؛ ابن تنباك: الزجر، ص٢٣ نقلاً عن النابغة الذبياني، ص٢٤٦.

[١٥٩] كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص ٣١٦؛ جواد علي: المفصل، ج٦، ص ٧٩٠ نقلاً عن البرقوقي، ص١٩؛ ابن تنباك: الزجر، ص١٦.

www.mtenback.com

أَقُوْلُ إِذَا مَا الطَّيْرُ مَرَّتْ مُخِيْفَةً سَوَانِحُهَا تَجْرِي وَلاَ أَسْتَثِيْرُهَا
فَدَتْكَ ابْنَ لَيْلَى نَاقَتِي حَدَثَ الرَّدَى وَرَاكِبُهَا إِنْ كَانَ كَوْنٌ وُكُوْرُهَا

ويضع النويري خلاصة التجربة في الفأل والطيرة قائلاً: «وإن خَرَجْتَ تطلب مالاً ضل عنك أو سرق، فنعب غراب على شجرة يابسة، فلا تطلبه، فقد استهلك، وقد يأتيك بعضه، على عكس لو نعب على جدار جديد أو شجرة خضراء». «وإذا خرجت تريد الصيد فنعب من فوقك فارجع، فإن نعب أمامك فامض فإنك تدرك خيرًا». «وإن خرجت تريد شراء شيء فنعب عن يسارك فلا خير فيه». «وإن خرجت تطلب حاجة فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق إلى يسارك فنعب، فإنك تدرك حاجتك عجلاً إن شاء الله. فإن نعب فوق رأسك، فإني أخاف عليك بعض أعدائك»[١٦٠].

وعدد الكثير من حركات الطير ومكانها، وتأويل ذلك[١٦١]، وكله باطل، وإنما أوردناه لمعرفة رأي العرب في ثقافة من ثقافاتهم وعلم من علومهم كانت حية في وجدانهم، ومارسها أكثرهم وبقيت تراثًا يُروى، وتتذاكره الأجيال ساخرة منه ولا تصدقه.

وقد أصبحت العيافة أو الزجر علمًا يستدل به عن طريق أصوات الطير أو الحيوان وحركاتها عن الحوادث واستكناه الغيب، فقد زجروا الثعلب والأرنب وغيرهما[١٦٢].

كما عرفت بمسميات مختلفة، كالعيافة، والزجر، والكهانة، والعرافة، وكلها في تصورهم مما يكشف عن المغيبات. والعيافة والزجر ضرب من التكهن، ولذلك سمي

---

[١٦٠] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص١٣٤-١٣٥.

[١٦١] انظر النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص١٣٤-١٣٩.

[١٦٢] جواد علي: المفصل، ج ٦، ص ٧٩٨.

www.mtenback.com

الكاهن زاجراً[١٦٣]. قال ابن خلدون: «وأما الزجر فهو ما يحدث من بعض الحيوانات من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان، والفكر فيه بعد مغيبه. وقد كان العرب أعلم الناس بهذا العلم وهو مدار أفعالهم وقانون حركاتهم وسكناتهم. وقد روي عنهم في هذا الباب روايات تحير ذوي الألباب»[١٦٤].

كما قال: «إنا نجد في النوع الإنساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس، ولايرجعون في ذلك إلى صناعة، ولايستدلون عليه بأثر من النجوم ولاغيرها. إنما نجد مداركهم في ذلك، بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها»[١٦٥].

والعرافة قسيمة الكهانة، فهي مختصة بالأمور المستقبلة والأمور الماضية، وهي تعني الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالمناسبة أو المشابهة الخفية، وهي كثيرة عند العرب في الجاهلية والإسلام[١٦٦].

وكان الملوك يسعون إلى معرفة المستقبل عن طريق العرافين، ومن هؤلاء أحد ملوك اليمن الذي رأى رؤيا هالته، فبعث إلى جميع المنجمين فاجتمعوا إليه، فقال: إني رأيت رؤيا هالتني، فقالوا: قصها علينا نخبرك بتأويلها، فأعلمهم بأنه لايصدق في تأويلها إلا من عرفها قبل أن يخبره بها. فقال بعضهم: إن هذا الذي يرومه الملك لايجده إلا عند الكاهنين شق وسطيح. فأرسل من سأل سطيحاً عن الرؤيا، فأخبره بها، ثم فسرها له، بأن الأحباش سيحلون في اليمن[١٦٧].

---

[١٦٣] الجاحظ: الحيوان، ج ٦، ص ٢٠٤.

[١٦٤] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣٠٧ نقلاً عن ابن خلدون.

[١٦٥] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٣٢٤ نقلاً عن ابن خلدون.

[١٦٦] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص ٢٧٤.

[١٦٧] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص٢٧٩-٢٨٠.

www.mtenback.com

واشتغل بالكهانة الرجال والنساء. فممن اشتهر من النساء امرأة تسمى طريفة وهي التي أنذرت عمرو بن عامر أحد ملوك اليمن بزوال ملكه، وبخراب سد مأرب، ومجيء سيل العرم ، وإفساد الجنتين[١٦٨].

وكان العرب يلجأون إلى العرافين والزاجرين من أجل أمور كثيرة، ومنها الشفاء من الأمراض. قال عروة بن حزام وقد التجأ لعراف اليمامة، وعراف حجر من مرضه، ولكنه لم يجد ضالته عندهما. فلم يشف من مرضه على الرغم من أن العراف فعل كل مايعرفه من رقية أو دواء. فاعتذرا إليه قائلين: شفاك الله، ووضحا أنهما لن يتمكنا من إبرائه. وعبر عروة عن ذلك بقوله[١٦٩]:

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ ... وَعَرَّافِ حَجْرٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي

فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقْيَةٍ يَعْلَمَانِهَا ... وَلاَ سَلْوَةٍ إِلاَّ بِهَا سَقَيَانِي

فَقَالا: شَفَاكَ اللهُ وَاللهِ مَالَنَا ... بِمَا حَمَلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ

وكان العرب في الجاهلية إذا أرادوا الإقدام على عمل لم يكتفوا بالزجر والعيافة، بل يستقسمون بالأزلام عند أصنامهم، لاعتقادهم أن النتيجة تمثل إرادة الصنم ومشيئته، غير أن هذا ليس شرطًا. فقدكان أصحاب الأزلام يحملون أزلامهم معهم ويستقسمون بها، حيث يطلب ذلك منهم. فهم في ذلك مثل الزاجرين أصحاب الفأل يتنقلون بين الناس للكسب. وكان هناك جماعات يستقسمون بأنفسهم، فالأزلام موجودة في بيوتهم، يحملونها معهم أينما ذهبوا[١٧٠].

---

[١٦٨] الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة – مطابع دار الثقافة، ط٨ (١٩٩٦م) ج١، ص٩٢؛ الحوفي، أحمد محمد: المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٣ (١٩٨٠م) ص ٤٠٨.

[١٦٩] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٤٩.

[١٧٠] ابن منظور: اللسان، مادة زلم.

www.mtenback.com

ولصاحب الأزلام وخازنها حق يتقاضاه من الطالبين في مقابل عمله، فكان هبل يتقاضى مئة درهم أجراً عن الاستقسام. وقد أشير إلى الاستقسام بالأزلام عند عدد من الشعراء، وهم مع استقسامهم بها، لم يكونوا في قرارة أنفسهم يعتقدون بالنتيجة التي يحصلون عليها. فامرؤ القيس استقسم من أجل الثأر لأبيه بالصنم ذي الخلصة، وخرج النهي ثلاث مرات، فغضب من النتيجة، وكسر الأزلام، ورماها في وجه ذي الخلصة قائلاً: لو كان أبوك المقتول لما نهيتني، وأنشد قائلاً[171]:

لَوْ كُنْتَ يَا ذَا الْخَلَصِ الْمَوتُورَا مِثْلِي وَكَانَ شَيْخُكَ الْمَقْبُورَا

لَمْ تَنْهَ عَنْ قَتْلِ الْعِدَاةِ زُوْرَا

وقد مدح الحطيئة ممدوحه بأنه لا يستقسم بالأزلام، ولا يزجر الطير، بل هو ماض بعزيمته غير راض عما يفعل العرب وما يعتقدون، فقال[172]:

لاَ يَزْجُرُ الطَّيْرَ إِنْ مَرَّتْ بِهِ سُنُحًا وَلاَ يَقِيضُ عَلَى قَسْمٍ بِأَزْلاَمِ

وقال طرفة بن العبد[173]:

أَخَذَ الأَزْلاَمَ مُقْتَسِمًا فَأَتَى أَغْوَاهُمَا زُلَمُهْ

ومن الغريب أن العربي يزجر الطير، وهو يعلم أن ذلك لا يغير الواقع، فالواقع صائر لا محالة، ولا يمكن لأي قوة أن تغيره إلا إرادة الله الذي بيده كل شيء، فالأمر لله

---

[171] شرح ديوان امرئ القيس، تحقيق: حسن السندوبي، المكتبة التجارية، ط٥، ص١٩؛ وانظر عنه النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ٦٧؛ جواد علي: المفصل، ج ٦، ص ٧٨١.

[172] الحطيئة، جرول بن أوس: ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، القاهرة – مكتبة الخانجي (١٩٨٧م) ص ٢٢٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ٦٧؛ جواد علي: المفصل، ج ٦، ص٧٨١؛ ابن تنباك: الزجر، ص ١٣.

[173] طرفة بن العبد، عمرو بن العبد: ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: فوزي العطوي، بيروت، دار صعب (١٩٨٠م)، ص ١١٦.

www.mtenback.com

وحده، فهو صانع كل شيء، ولا يدري الإنسان ما الطوارق التي تعرض له فكيف بالطير؟!

فالعربي إذا ركب راحلته، ترك الطبيعة كما يراها تأخذ بحركتها أمام عينيه، وهو يرصد هذه الحركة ويفسرها بمزاجية خاصة. فيقدر الحركة ويتفاعل معها، ويدرك دلالات الزجر، ويضعه في ذهنه موضعًا خاصًا ولا يستعيده، حتى إذا أتم رحلته، وحان الإياب، راجع الذاكرة، واستل مخزونها وما تعرضت له في مسيرها كله، وقومها، فإذا أخفق سعيه وخاب أمله، نسب الخيبة والإحباط لما عرض له من صور السوانح أو البوارح حسب ما يعتقد، والعكس من ذلك إذا نجح، فيفسر ذلك على أنها السبب وراء نجاح مطلبه وفلاح معاده، ومرد توفيقه[١٧٤].

وباعتبار أن الطيرة قضية شخصية، فإن من يتشاءم ويتطير من أمر ما يقلبه إلى ضده إذا فسره تفسيرًا حسنًا. وهناك في كتب التاريخ والأدب أمثلة عن قلب التفاؤل إلى تطير وتشاؤم. من ذلك ما جرى بين الحجاج وأهل الكوفة حين صعد منبر جامعها، فانكسر اللوح تحت قدمه، فاستبشر أهلها بذلك، ورأوا أنه سينكسر كما انكسر اللوح. ولكن الحجاج قلب تفاؤلهم إلى شؤم وطيرة، إذ التفت إلى جماهير الناس قائلاً قبل أن يحمد الله تعالى: شاهت الوجوه، وتبت الأيدي، وبؤتم بغضب من الله. إن انكسر عود خروع ضعيف تحت قدم أيِّد شديد تفاءلتم بالشؤم، وإني على أعداء الله لأنكد من الغراب الأبقع، وأشأم من يوم نحس مستمر[١٧٥].

وحدث مثل ذلك حين توجه الخليفة العباسي المسترشد بالله للقاء السلطان السلجوقي مسعود بن محمد، إذ وقع على الشمسية التي ترفع فوق رأس الخليفة لحمايته من الشمس طائر من الجوارح، وكان كلما نفر عنها عاد إليها، فتفاءل كثير من الناس بذلك. كما أظهر الخليفة المسترشد السرور، لأنه تفاءل بحسن نتائج المقابلة بينه وبين

---

[١٧٤] ابن تنباك: الزجر، ص ٢٩.

[١٧٥] الأبشيهي: المستطرف، ص ٥٢٥.

www.mtenback.com

السلطان، ولكن أحد العارفين بالزجر، قال: هذا أمر لا يتفاءل بـــه، فهـــذا جـــارح ومنقبض الكف، وليس فيه بشرى بل ضدها. وأقبل السلطان في جيشه، فكانت الكسرة على الخليفة، وقبض على المسترشد[١٧٦]، ووضعه في خيمة مكشوفة، حيث قتل[١٧٧].

أسباب التطير والتشاؤم:

كانت العرب تتطير وتزجر الطير، لأنهم يريدون معرفة المستقبل، فكان أحدهم إذا خرج من بيته غادياً في بعض الحاجة، نظر هل يرى طائراً يطير، فإن لم ير ذلـــك، عمد إلى الطير الواقع على الشجر، فحركه ليطير، ثم ينظر إلى أي جهة يأخذ ليتفـــاءل أو يتطير مما سيقوم به[١٧٨].

قال عامر بن جوين يصور أن الطير السانح ونعيب الغراب أعلماه بأن هنداً غير مسقبة بالديار، فقال[١٧٩]:

أَنْبَـــأَتْكَ الطَّـــيْرُ إِذْ سَـــنَحَتْ ... وَالْغُـــرَابُ الْوَحْـــفُ إِذْ نَعَبَـــا

أَنَّ هِنْـــدًا غَـــيْرُ مُسْـــقِبَةٍ ... بِالدِّيَـــارِ كَـــالَّذِي حَسِـــبَا

كما ذكر كثير عزة أنه زجر الطير للتفاؤل واستشعار المستقبل، لعله يدفعـــه إلى النجح والعمل[١٨٠]:

غَمُـــومٌ لِطَـــيْرِ الزَّاجِرِيهَـــا أَرِيبَـــةٌ ... إِذَا حَاوَلَتْ ضُرًّا لِذِي الضِّغْنِ ضَرَّتِ

---

[١٧٦] النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٤٨.

[١٧٧] ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبـــد القـــادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، (١٩٩٢م)، ج١٧، ص٢٩٨.

[١٧٨] جواد علي: المفصل، ج٦، ص٧٨٩، نقلاً عن جامع الأصول، ج ٨، ص ٤٥٨؛ وإرشاد الســـارى، ج٨، ص٩٦.

[١٧٩] ابن تنباك: الزجر، ص١٨ نقلاً عن قصائد جاهلية نادرة، ص١٧٩، وغير مسقبة: أي غير قريبة.

[١٨٠] كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص٣٢٥.

www.mtenback.com

يَؤُوبُ أُولُو الْحَاجَاتِ مِنْـهُ إِذَا بَـدَا إِلَى طَيِّبِ الأَثْـوَابِ غَـيْرَ مُؤَمَّـتِ

فقد أشكل على كثير معرفة ما وراء زجره للطير، ولكنه علم أنها علـى غـير مايريد، وأنها أنبأت بما لايحب، فوصفها بأنها غموم، ورأى أن المتطير يـأخذ بأسـوأ احتمالات الزجر، ويتوقع أسوأ ما يقدَّر، فيتحقق مايعتقده من الزجر[١٨١].

وهم كثر أولئك الذين يريدون معرفة ماسيحدث لهـم في مسـتقبل أيـامهم فيلجأون إلى زجر الطير، وإذا حدث و لم يفعلوا، فإنهم يلومون أنفسهم لإهمالهم أمـرًا يعلقون عليه أهدافًا وآمالاً. فالشاعر الأخطل لام من يخاطب، لأنها لو زجرجت الطير لعلمت ما ستلقى، ولعرفت عندما أهديت إلى زوجها أن النحس أصابها بسبب ذلـك فقال[١٨٢]:

فَهَلاّ زَجَـرْتِ الطَّـيْرَ لَيْلَـةَ جِئْتِـهِ بِضَيْقَـةَ بَيْـنَ النَّجْـمِ والدَّبَـرَانِ

كذلك لام تأبط شرًا نفسه لأنه لم يزجر الطير، ولو فعل لأخبرته بما يخبئـه لـه عمله، ولأدرك الغيب بزعمه، فقال[١٨٣]:

فَلَوْ نَبَّأَتْنِي الطَّيْرُ أَوْ كُنْـتُ شَـاهِدًا لآسَاكَ فِي الْبَلْوَى أَخٌ لَـكَ نَـاصِرُ

فالشاعر يزجر الطير ليعلم سلفًا موقف حبيبته منه، وليجد لنفسه عذرًا إذا تغير الحال وافترقا، وليجعل المسؤولية على الطير التي جرت لهما بشؤم الطالع، ويلوم نفسه أو يذكر شؤمه الذي حدث له، وكأنه يتهم الأقدار لتخفيف المصاب، وإبعاد اللوم عنهـا، كما يقول ذو الرمة[١٨٤]:

---

[١٨١] ابن تنباك: الزجر، ص١٤.

[١٨٢] الأخطل، غياث بن غوث التغلبي: شعر الأخطل، تحقيق: فخر الدين قباوة، بـيروت، دار الآفـاق الجديدة، ط٢ (١٩٧٩م) ص٢٩٣.

[١٨٣] ابن تنباك: الزجر، ص١٧ نقلاً عن ديوان تأبط شرًا ص ٨٣.

[١٨٤] ذو الرمة: ديوان ذي الرمة، ج٢، ص٧٢٢.

www.mtenback.com

لَيَـالِيَ لاَ مَـيٌّ بَعِيْـدٌ مَزَارُهَـا وَلاَ قَلْبُـهُ شَـتَّى الْهَـوَى مُتَشَـيِّعُ
وَلا نَحْنُ مَشْؤُومٌ لَنَا طَـائِرُ النَّـوَى وَمَا ذَلَّ بِـالْبَيْنِ الفُـؤَادُ الْمُـرَوَّعُ

ويزجر العربي الطير ليعلم مستقبل الحرب مع الأعداء، وإذا صدف وانتصروا على أعدائهم فإنهم يعلقون سبب النصر بالطير الذي أنبأهم بذلك، كما يعزون ذلك إلى سوء طالع أعدائهم، ونصيبهم من طائر الشؤم الذي نعب لهم على أيديهم. فحين انتصر بنو أسد على بني دارم من تميم قال عبيد بن الأبرص[١٨٥]:

وَلَقَـدْ شَـبَبْنَا بِالْجِفَـارِ لِـدَارِمٍ نَارًا بِهَـا طَـيْرُ الأَشَـائِمِ تَنْعَـبُ

كما يزجر الطير ليتنبأ عن نتيجة سفره المقبل[١٨٦]. وكان الذي يدفع إلى ذلك أن السفر كان شاقًا، ويتعرض المسافر في طريقه لكثير من المشاق مع قلة زاد وطعام ومال وضياع، وهجوم بعض القبائل واللصوص، والتعرض لخطر الحيوانات المفترسة. ولذلك فإن المسافرين كانوا مع زجرهم للطير، يتوسلون إلى آلهتهم لترعاهم في سفرهم، وتحفظهم من لصوص الطرق، ومن كل شر وسوء. ويتعهدون مقابل ذلك بتقديم نذور لمعابدها بعد عودتهم سالمين. كما كانوا يشكرون آلهتهم ويحمدونها لأنها أجابت دعوتهم فحمتهم ورحمتهم في سفرهم، ويسرت لهم العودة سالمين[١٨٧].

ويزجر العربي الطير لاستكشاف ما يخبئه له الزمن، حتى إذا أصابه اليأس بوفاة أحبابه أو أصحابه، وهلاك أصدقائه، يشعر بأنه لا حاجة لزجر الطير، ولا لمعرفة ما تأتي به الأيام. ويبدو ذلك واضحًا مما قاله تأبط شرًا بعد أن فقد أصدقاءه النفاثيين، واستوى عنده كل شيء، ولم يعد يهمه معرفة أي خبر[١٨٨]:

---

(١٨٥) ابن تنباك: الزجر، ص١٨ نقلاً عن ديوان عبيد بن الأبرص، ص٥.

(١٨٦) ابن قيم الجوزية، كتاب الهدى النبوي، ج٢، ص٣١ في هديه ﷺ في أذكار سفره؛ جواد علي: المفصل، ج٥، ص١٣١؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٣، ص ٦٧.

(١٨٧) جواد علي، المفصل، ج ٥، ص ١٣١.

(١٨٨) ابن تنباك: الزجر، ص ١٩، نقلاً عن ديوان تأبط شرًا، ص ١٠٠.

www.mtenback.com

أَبَعْدَ النَّفَائِيْنَ أَزْجُرُ طَائِرًا وَآسَى عَلَى شَيْءٍ إِذَا هُوَ أَدْبَرَا

كما يزجر العربي الطير إذا شك في موضوع ما، وأراد أن يعرف ما سيحدث عن طريق الزجر، ولكن زجره لن يحل له المشكلة، فقد يزداد شكًا بدلاً من أن يرتاح باله، وخاصة إذا خرج له ما يكره عند زجر الطير. ولذلك فإن بعضهم كان يرفض الزجر حتى مع شكه في نتيجة ما سيفعله، ومن هؤلاء عبدالله بن ثور العامري الذي رفض عيافة الطير وزجرها، لأنه لا يصدقها، ولا يهمه ما يقوله المتعيفون، فقال[١٨٩]:

وَقَدْ أَنْبَأَتني الطَّيْرُ لَوْ كُنْتُ عَائِفًا وَلَكِنَّنِي فِي الطَّيْرِ لاَ أَتَعَيَّفُ

بِرُمَّانَ وَالْعَرْجَيْنِ إِنَّ لِقَاءَهَا بَعِيْدٌ وَإِنَّ الْوَعْدَ مِنْهَا سَيَخْلُفُ

ولما شك كثير عزة في الحصول على رضاء أم الحكيم، زجر الطير، فدفعه الطير السانح إلى مزيد من الإقدام، على الرغم من تردده في أمره. فهو يمني نفسه كلما مرت الطير متفائلاً، عسى أن ينال رضاها ذات يوم، ويحين ذلك الموعد، فيقول[١٩٠]:

أَأُدْرِكُ مِنْ أُمِّ الْحُكَيِّمِ غِبْطَةً بِهَا خَبَّرَتْنِي الطَّيْرُ أَمْ قَدْ أَنَى لَهَا

أَقُولُ إِذَا مَا الطَّيْرُ مَرَّتْ سَحِيْقَةً لَعَلَّكَ يَوْمًا فَانْتَظِرْ أَنْ تَنَالَهَا

وكانوا يزجرون الطير لأنهم يرون أن الزجر ليس كله عامل شؤم ومنع وإحباط، بل فيه مايدفع إلى التفاؤل والعمل، ويحث على الإنجاز، ويبعث الأمل في النفوس المتطيرة المتشائمة. ويدل على ذلك أن نساء هوذة بن علي الحنفي، كن يترقبن عودته من غزواته السنوية المتكررة في شوق، فيقمن بزجر الطير، فيقع في نفوسهن ما يحلمن به من قرب أوبته، فترتاح أنفسهن، وتقر أعينهن، وينمن على هذا الأمل الجميل. وقد عبر الأعشى عن ذلك أحسن تعبير حين أراد مدح هوذة بن علي الحنفي، فقال[١٩١]:

---

(١٨٩) ابن تنباك: الزجر، ص٢٠. نقلاً عن قصائد جاهلية نادرة.

(١٩٠) كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص ٧٧.

(١٩١) الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد محمد حسين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٧ (١٩٨٣م) ص١٤١.

www.mtenback.com

وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لأَقْصَاهَا عَزِيْمَ عَزَائِكَا
تُخَبِّرُهُنَّ الطَّيْرُ عَنْكَ بِأَوْبَةٍ وَعَيْنٍ أَقَرَّتْ نَوْمَهَا بِلِقَائِكَا

فالعرب كانوا يريدون من الزجر أن يعلموا حسن الطالع ونجاح المسعى والمطلب. فالقطامي مثلاً حين زجر الطير، فرح واستبشر خيرًا فيما هو مقدم عليه، وأصبح واثقًا من أنه سيلاقي خيرًا أعلمته به الطير، فقال[١٩٢]:

وَبِالأَمْسِ قَدْ كَانَتْ بَدَتْ لِيْ طَيْرُهُمْ جَرَتْ بَارِحًا لَوْ زَجَّرَ الطَّيْرَ عَائِفُ

ويقول في موضع آخر معتدًا بحسن فراسته وعيافته للطير، وعلمه بما سوف يلقى من الإكرام لدى ممدوحه، وهذا معنىً أدبيٌّ طريف أتى به الشاعر[١٩٣]:

وَعَارَضَنِي اللَّيْلُ إِذا مَا اخْضَرَا أَخْبَرَكَ البَارِحُ حَيْنَ مَرَّا
إِذْ سَوْفَ تَلْقَيْنَ جَوَادًا حُرًّا سَيِّدَ قَيْسٍ زُفَرَ الأَغَرَّا

ومن أسباب زجر الطير المعاناة من الإخفاق والحرمان. قال أحدهم يصف الإخفاق الذي مني به[١٩٤]:

وَمَازِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلاَ دِ مِنَ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ
وَأَدْرِعُ الْخَوْفَ تَحْتَ الدُّجَى وَأَسْتَصْحِبُ النَّسْرَ وَالْفَرْقَدَيْنِ
وَأَطْوِي وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْهُمُومِ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِخُفَّيْ حُنَيْنِ

كما قالوا في اليأس والخيبة «من لي بالسانح بعد البارح»[١٩٥].

---

[١٩٢] ابن تنباك: الزجر، ص١٥ نقلاً عن ديوان القطامي، ص٥١.

[١٩٣] ابن تنباك: الزجر، ص١٥، نقلا عن ديوان القطامي، ص١٢٠.

[١٩٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص٦٠.

[١٩٥] أي من لي باليمن بعد الشؤم.

www.mtenback.com

أما من نجحت مطالبه منهم، ووفق فيما يريد، فتطيره وتشاؤمه قليل. قال عروة ابن الورد عن زجر الطير لمن نجحت مطالبه[١٩٦]:

مُطِلاً عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ

يقول الماوردي: «أما من ساعدته المقادير، ووافقه القضاء، فهو قليل الطيرة لإقدامه ثقة في إقباله، وتعويلاً على سعادته، فلا يصده خوف، ولا يكفه حذر، ولا يؤوب إلا ظافرًا، ولا يعود إلا منجحًا لأن الغنم بالإقدام، والخيبة مع الإحجام، فصارت الطيرة من سمات الإدبار، واطّراحها من أمارات الإقبال. فينبغي لمن مني بها وبلي أن يصرف عن نفسه وساوس النوكى وذائع الخيبة، وذرائع الحرمان، ولا يجعل للشيطان سلطانًا في نقض عزائمه، ومعارضة خالقه، ويعلم أن قضاء الله عليه غالب، وليمض في عزائمه، واثقًا بالله تعالى إن أعطى، وراضيًا به إن منع»[١٩٧].

قال أبو ذؤيب الهذلي يذكر أنه زجر الطير السنيح، حتى إذا لم يتمكن من الوصول إلى غايته وما يتمنى، فإنه على أقل تقدير يحاول اجتناب المصير المؤلم الذي سيقع فيه[١٩٨]:

زَجَرْتَ لَهَا طَيْرَ السَّنِيحِ فَإِنْ تُصِبْ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوَى يُصِبْكَ اجْتِنَابُهَا

فتطيره يكون وسيلة كي يلقي تبعات المصيبة على الطير، لأنه يجد سلوة ولذة في إسقاط كوارث الطبيعة على شؤم الطالع، وزجر الطائر. قال حاتم الطائي يصف حبيبته التي كانت تتقلب فوق الحشية، وهو بقربها يسمع صوت حليها. ولكنها ما لبثت أن ابتعدت عنه وتبدلت عليه لمرور طير الشؤم[١٩٩]:

---

[١٩٦] عروة بن الورد: ديوانا عروة بن الورد والسموءل، ص ٣٧؛ جواد علي: المفصل، ج٩، ص٦٢٣.

[١٩٧] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٣٠٥؛ ابن تنباك: الزجر، ص١٠.

[١٩٨] ديوان الهذليين، ج ١، ص٧٠.

[١٩٩] حاتم الطائي، ديوان حاتم الطائي، ص ٢٣٤؛ ابن تنباك: الزجر، ص١٧-١٨.

www.mtenback.com

إِذَا انْقَلَبَتْ فَـــوْقَ الْحَشِـــيَّةِ مَـــرَّةً تَرَنَّـــمَ وَسْـــوَاسُ الْحُلِّـــي تَرَنُّمَـــا
فَبَـــاتَتْ لِطَيَّـــاتٍ لَهَـــا وَتَبَدَّلَـــتْ بِهِ بَدَلاً مَـــرَّتْ بِـــهِ الطَّـــيْرُ أَشْـــؤُمَا

كما أن حب الحياة والسعي لتحقيق النجاح فيها، واحد من دوافع العربـــي إلى التعلق بالمعارف التي تقوم في عمومها على الحدس وقوة الذكاء والتفريق الحـــاد بـــين الأشياء المتشابهات، وتمييز الفوارق في المتقاربات فاهتموا بعلم القيافـــة، وبرعـــوا في العيافة والزجر، وعلم النجوم وغيرها من ظواهر الطبيعة، وتعلقوا بهذه العلوم بحثًا عـــن النجاح في المقاصد، وتحقيقًا للرغبات وبلوغ الأهداف التي يسعى إليها العربي.

إن طبيعة حياة العربي هي التي دفعته إلى ذلك، فهو يعيش في صحراء مُقفـــرة تبعث على الوساوس، فيتعامل مع ظواهرها المثيرة بشيء من جلال الشعور بما تخفـــي الطبيعة وراءها من معالم الحياة ومتغيرات الأحوال. فالعربي يزجر ليحقق طموحًـــا في نفسه، أو أملاً يرجوه ويسعى إليه، لأنه يقبل إقبالاً شديداً على الحياة، ويتفـــاعل مـــع معطياتها تفاعلاً مؤثرًا بالرغم من ندرة معطيات بلاده وبساطتها، وشح موارد الـــرزق فيها وقلته[٢٠٠].

فهذا قيس بن الخطيم يرى أن الزجر دافعٌ إلى الإقدام، وموجهٌ للسعي لما ينفعه، واستفتاحًا للأنجح من المطالب، وللأقرب من الصواب، وليس تطيرًا وقنوطًا، وهو بـــين أمرين عليه أن يفاضل بينهما، الإقامة أو المسير، ولكن الدافع إلى المسير كان أقـــوى، فسار و لم يقعد، وطلب النجدة من بعيد[٢٠١]. فقال[٢٠٢]:

---

[٢٠٠] ابن تنباك: الزجر، ص١٢-١٣.

[٢٠١] ابن تنباك: الزجر، ص١٢-١٣.

[٢٠٢] ابن الخطيم، قيس بن الخطيم بن عدي: ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره، تحقيق: ناصر الدين الأسد، بيروت، دار صادر، ط٢ (١٩٦٧م) ص ١٨٢.

www.mtenback.com

زَجَرْنَا النَّخْلَ وَالأَطَامَ حَتَّى إِذَا هِيَ لَمْ تَشَيَّعْنَا لِزَجْرِ
هَمَمْنَا بِالإِقَامَةِ ثُمَّ سِرْنَا كَسَيْرِ حُذَيْفَةَ الْخَيْرِبْنِ بَدْرِ

ومن أسبابه القلق والخوف والاضطراب الذي يصيب بعض الناس، فينعكس على نفسياتهم، مما يجعلهم يتشاءمون من كل شيء ومن أي شيء.

وقد أصبح الزجر والتطير عادة من عادات العرب كما أنه إحدى شمائلها، وهي تمارسه اعتيادًا حتى إنه صار كالطبع في حياتها، ومخالفة الطبع من الأمور القاسية الصعبة، يقول أبو الأسود الدؤلي[٢٠٣]:

وَكُلُّ امْرِئٍ – وَاللهُ بِالنَّاسِ عَالِمٌ – لَهُ عَادَةٌ قَامَتْ عَلَيْهَا شَمَائِلُهْ
تَعَوَّدَهَا فِيمَا مَضَى مِنْ شَبَابِهِ كَذَلِكَ يَدْعُو كُلَّ أَمْرٍ أَوَائِلُهْ

تشاءم العرب من أحداث أو أناس يظنونهم سببًا في أحداث مؤلمة تقع كالحرب أو القتل أو غير ذلك مما يعقبه أذى كبير. فقد تطيّرت العرب من البسوس ناقة المراءة التميمية التي نزلت على بني بكر بن وائل، وضربوا بها المثل حين قالوا: «أشأم من البسوس».

وكانت البسوس قد زارت أختها أم جساس بن مرة، ولها ناقة رماها كليب وائل عندما رآها في حماه، فصرخت البسوس منتدبة واذلاه، واغربتاه، فسمعها ابن أختها جساس فثار الدم في رأسه، وخرج فطعن كليبًا طعنة قتلته، ووقعت الحرب بين بكر وتغلب حربًا دامت أربعين سنة، وتطير الناس بالبسوس، وصار الشؤم فيها مثلاً، ونسبت الحرب إليها لكونها سببها، فقيل: «حرب البسوس»[٢٠٤].

---

[٢٠٣] الدؤلي، أبو الأسود ظالم بن عمرو: ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١ (١٩٧٤م) ص٣٩.

[٢٠٤] الثعالبي، عبدالملك بن محمد: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، القاهرة، مطبعة الظاهر (١٩٠٨م) ص٣٠٧ وما بعدها؛ ابن الأثير، علي بن محمد: الكامل في التاريخ، بيروت، دار بيروت ودار صادر (١٩٦٥م) ج١، ص٥٢٣-٥٣٩.

www.mtenback.com

كما تشاءموا وتطيروا من امرأة اسمها «منشم» كانت تبيع العطر، فكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها، كثرت القتلى فيما بينهم، حتى ضرب المثل في عطرها فقيل: «أشأم من عطر منشم»[٢٠٥]. ويبدو أن زهير بن أبي سُلمى، كان ممن يتشاءم بعطر منشم، فقال فيه[٢٠٦]:

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ

وتشاءم العرب من بعض الأيام، وأطلقوا عليها الأيام النحسات، وهي كل أربعاء يوافق أربعًا منها الشهر، مثل أربع خلون، وأربع وعشرين، وأربع بقين[٢٠٧]، وذلك أنهم رأوا أن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر، وربما كان هذا القول مرتبطًا بقصة الطوفان زمن سيدنا نوح[٢٠٨].

ويدخل في هذه الأيام تشاؤم الجاهليين من يوم بعينه، وتفاؤلهم بيوم آخر، فيكون يوم التشاؤم يوم بؤس يتشاءم صاحبه من كل من يراه أولاً في ذلك النهار، وقد يلحق به سوءًا، كالذي روي عن قصة يومي البؤس والنعيم عند المنذر بن ماء السماء أو النعمان بن المنذر[٢٠٩]. ويكون يوم التفاؤل يوم نعيم يفرح به صاحبه، ويهش لكل من يراه، ولاسيَّما القادم أولاً، وعبر عنهما بيوم البؤس ويوم النعيم[٢١٠].

واعتقد بعضهم بوجود ساعة نحس، ويبدو ذلك من قول زهير بن أبي سُلمى[٢١١]:

سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَيَّ حِيْنٍ أَتَيْتَهُ أَسَاعَةَ نَحْسٍ تُتَّقَى أَمْ بِأَسْعَدِ

---

[٢٠٥] الزبيدي: تاج العروس، مادة نشم.

[٢٠٦] زهير بن أبي سُلمى: ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص٧٩.

[٢٠٧] جواد علي: المفصل، ج ٦، ص٨٠١.

[٢٠٨] الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، ص٥٢٤.

[٢٠٩] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص١٧٧.

[٢١٠] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص١٧٦؛ جواد علي: المفصل، ج ٦، ص٨٠٢.

[٢١١] زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير، ص٢٣.

www.mtenback.com

ونهى الإسلام عن التشاؤم من الأيام. فقد سأل رجل رسول الله ﷺ، في أي يوم أحتجم؟ فقال: «لا تطيروا فإن الأيام كلها لله، إذا تبيّغ بأحدكم الدم، فليحتجم»[٢١٢].

وتطير العرب من الأسماء كما تفاءلوا بها، ومما يذكر في هذا المجال، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرج إلى حرة واقم، فلقي رجلاً من جهينة، فقال له: ما اسمك؟ قال: شهاب. قال: ابن من؟ قال: ابن جمرة!! قال: وممن أنت؟ قال من الحرقة!! قال: ثم ممن؟ قال: من بني ضرام!! قال: وأين منزلك؟ قال: بحرة ليلى!! قال: وأين تريد؟ قال: لظى. فقال عمر: أدرك أهلك، فما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا، قال: فأدركهم وقد أحاطت بهم النار[٢١٣].

وقيل إنه رضي الله عنه سأل رجلاً أراد أن يستعين به على عمل، عن اسمه واسم أبيه، فقال: ظالم بن سراقة. فقال: تظلم أنت ويسرق أبوك!! ولم يستعن به في شيء[٢١٤].

ولا يخفى ما بهاتين الروايتين من الصنعة والتكلف، إلا أن سبب قبولهما هو حث العرب على التفاؤل وتقريب أسبابه، واعتماد الحسن من الأسماء والأشياء التي تحيط بالمرء حتى تشرق نفسه ويتأمل ما حوله فيجده يبعث السعادة ويعين على حسن التعامل والفأل.

أما الجانب المقابل للتفاؤل فقد كان للعرب به علم ولهم حدس خارق نحو الأشياء التي لا تبعث على التفاؤل. وقد تطيروا من اشتقاق الأسماء، وخاصة أسماء بعض الطيور، فتشاءموا من الغراب، لأنه يشتق منه الاغتراب، ومن ريح الجنوب لاشتقاق

---

[٢١٢] الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ج١، ص١٤٥؛ الحديث ليس في كتب الصحاح.

[٢١٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٣٧-١٣٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص١٤٤.

[٢١٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٣٧.

www.mtenback.com

الاجتناب منها، كما تفاءلوا بريح الصبا، لاشتقاق الصبابة منها. وقال أبو الشيص يذكر ذلك الاشتقاق[٢١٥]:

أَشَاقَكَ وَاللَّيْلُ مُلْقِى الْجِرَانِ ... غُرَابٌ يَنُوحُ عَلَى غُصْنِ بَانِ

وَفِي نَعَبَاتِ الْغُرَابِ اغْتِرَابٌ ... وَفِي الْبَانِ بَيْنٌ بَعِيْدُ التَّدَانِي

وحمل على هذا المذهب قول ذي الرمة:

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ ... مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ خُضْرُ

فَقُلْتُ غُرَابٌ لاغْتِرَابٍ وَقَضْبَةٌ ... لِقَضْبِ النَّوَى هَذِي الْعَيَافَةُ وَالزَّجْرُ

وَهَبَّتْ جَنُوبٌ بِاجْتِنَابِكَ مِنْهُمُ ... وَنَفْحُ الصَّبَا تِلْكَ الصَّبَابَةُ وَالْهَجْرُ

وقال سوار بن المضرب في التطير من اشتقاق كلمات من الغراب والبان[٢١٧]:

تَغَنَّى الطَّائِرَانِ بِبَيْنِ سَلْمَى ... عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانِ

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمَى ... وَفِي الْغَرْبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِ

وقال آخر يتطير من الحمامة ومن سجعها[٢١٨]:

أَقُولُ يَوْمَ تَلاَقَيْنَا وَقَدْ سَجَعَتْ ... حَمَامَتَانِ عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ بَانِ

الآنَ أَعْلَمُ أَنَّ الْغُصْنَ لِي غُصَصٌ ... وَإِنَّمَا الْبَانُ بَيْنٌ عَاجِلُ دَانِ

وقد لعب الاشتقاق دورًا ملموسًا في التفاؤل والتطير، فهم يشتقون من الأسباب ما يوافق لفظًا يوحي بخير أو شر. فالغراب منه الاغتراب، والعقوبة من العقاب، ومن

---

[٢١٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص١٣٨.

[٢١٦] الحصري القيرواني: زهر الآداب، ج ١، ص٥٢٣؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٣٦.

[٢١٧] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص٣٣٥.

[٢١٨] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص٣٣٥.

www.mtenback.com

البان البين، ومن الغُصن الغصّة، وهكذا، حتى لكأنما التصقت هذه الأحوال بمسمياتها، يقول جران العود في ذلك[٢١٩]:

جَرَتْ يَوْمَ رُحْنَا بالرِّكَابِ نَزُفُّهَا ... عُقَابٌ وَشَحَّاجٌ مِنَ الطَّيْرِ مِتْيَحُ
فَأَمَّا الْعُقَابُ فَهْوَ مِنَّا عُقُوبَةٌ ... وَأَمَّا الْغُرَابُ فَالْغَرِيبُ الْمُطَوَّحُ

كما تطيروا من السفرجل، لأن شطر اسمه (سفر)، ولما كان السفر سببًا من أسباب ابتعاد الأحبة، وفي الوقوع في المخاطر، فتطيروا منه، قال أحدهم يذكر ذلك[٢٢٠]:

أَهْدَي إِلَيْهِ سَفَرْجَلاً فَتَطَيَّرا ... مِنْهُ فَظَلَّ مُفَكِّرًا مُسْتَعْبِرَا
خَوْفَ الْفِرَاقِ لأَنَّ شَطْرَ هِجَائِهِ ... سَفَرٌ وَحَقَّ لَهُ بِأَنْ يَتَطَيَّرا

وكذلك تطيروا من اسم سوسن، لأنهم رأوا أن شطر اسمه (سوء)، قال أحد الشعراء في ذلك[٢٢١]:

يَاذَا الَّذِي أَهْدَى لَنَا السَّوْسَنَا ... مَاكُنْتَ فِي إِهْدَائِهِ مُحْسِنَا
شَطْرُ اسْمِهِ سُوْءٌ فَقَدْ سُؤْتَنِي ... يَالَيْتَ أَنِّي لَمْ أَرَ السَّوْسَنَا

كما تطيروا من الحَمَام، لأنه إذا كُسِرَت حاؤه، أصبح (حِمام)، قال الطائي في الحمام[٢٢٢]:

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً ... مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ

---

[٢١٩] ابن تنباك: الزجر، ص٢٤، نقلاً عن جران العود، ص ٣.

[٢٢٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص١٣٩، ٣٠٢.

[٢٢١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص١٣٩.

[٢٢٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص١٣٩.

www.mtenback.com

وقد يكون التعلل بالتطير لإنقاذ شيء لا يريد الإنسان أن يجود به، فيبحث عن سبب مقبول للعذر الجميل، فلا يجد إلا أن يعتذر بالتطير كما فعلت قينة، كان لها صديق طمّاع، فلمّا أراد الخروج سألها أن تعطيه خاتم ذهب في يدها ليذكرها به، فكانت أكثر دهاءً وذكاءً، فامتنعت عليه معللة ذلك بحبه، وأنها لا تعطيه الذهب حتى لا يذهب، ولكن لابأس أن تعطيه عودًا حتى يعود[٢٢٣].

ووصل التطير ببعضهم إلى التطير من غناء جارية. فقد تطير الخليفة العباسي الأمين بن هارون الرشيد من غناء جاريته التي تعرف «بضعف»، ذلك أنه في إحدى الليالي التي كانت فيها جيوش أخيه المأمون تحاصر بغداد بقيادة عبدالله بن طاهر، شعر بضيق في صدره، فاستدعى عمه إبراهيم بن المهدي في ليلة مقمرة، ليفك الضيق عن صدره، فطلب من جاريته «ضعف» أن تغني، فغنت قائلة:

هُمْ قَتَلُوهْ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهْ ... كَمَا فَعَلَتْ يَوْمًا بِكِسْرَى مَرَازِبُهْ

بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّوَاصُلُ بَيْنَنَا ... وَعِنْدَ أَخِيكُم سَيْفُهُ وَنَجَائِبُهْ

فغضب وتطير، وطلب منها أن تغني بكلام غيره، فغنت قائلة:

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا ... وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ

فقال لها: قومي إلى لعنة الله، فوثبت فانكسر الكأس الذي بيده، وكان يحبه، فتطير، وقال لعمه: أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا[٢٢٤].

وكثير من هذه القصص عن التطير مما وضعه الناس بعد الأحداث حتى يقوى شأن التطير في النفوس، وإلا فإن من غير المعقول أن تغني جارية الأمين بهذا الشعر عنده، ومعلوم أن الجواري كن على حظ كبير من التهذيب والتعليم، ولا تغني الخليفة

---

[٢٢٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ١٣٩.

[٢٢٤] الأبشيهي: المستطرف، ص.ص ٥٢٤-٥٢٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص١٤٥-١٤٧.

www.mtenback.com

إلا وهي تعلم الحال التي تسره. ولا أدل على اصطناع بعض قصص التطير من التشابه الصريح بين ما حدث للأمين مع «ضعف»، وما حدث للمأمون مع «علوية». إذ روي أن المأمون بن هارون الرشيد حين خرج إلى الشام، ودخل مدينة دمشق، طاف في قصور بني أمية يتتبع آثارهم، فدخل صحنًا من صحونها مفروشًا بالرخام الأخضر، وفيه بركة ماء فيها سمك، وأمامها بستان، فاستحسن ذلك، ودعا بالطعام والشراب، وطلب من علوية المغني أن يغنيه، فغنى بشعر عبدالله بن قيس الرقيات:

لَوْ كَانَ حَوْلِي بَنُو أُمَيَّةَ لَمْ تَنْطِقْ رِجَالٌ أَرَاهُمُ نَطَقُوا

مِنْ كُلِّ قَرْمٍ مَحْضٍ ضَرَائِبُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ الْقَمِيصُ يَنْخَرِقُ

فقال له المأمون: عليك وعلى بني أمية لعنة الله، قلت لك: سُرَّني أم سُؤْني؟ فأعاد الغناء ثانية قائلاً:

الْحَيْنُ سَاقَ إِلَى دِمَشْقَ وَمَا كَانَتْ دِمَشْقُ لأَهْلِنَا بَلَدَا

قَادَتْكَ نَفْسُكَ فَاسْتَقَدْتَ لَهَا وَأَرَتْكَ أَمْرَ غَوَايَةٍ رَشَدَا

فتطير المأمون منه، فرماه بقدح بيده، فانكسر القدح. وكان هذا آخر عهد علوية بالمأمون، فقد مرض المأمون ومات بعد ذلك بقليل [٢٢٥].

هذه وتلك قصص ساقها السمار للتسلية وتزجية الفراغ والتذكير بالأحداث المهمة في تاريخهم لأخذ العبرة منها.

وكان الجاهليون يتطيرون ويفزعون من سقوط الشهب، اعتقادًا منهم بأثر فعل النجوم في الإنسان، ولهذا فإنهم كانوا يراقبون السماء لتفسير مايرون فيها من تساقط النجوم، وكانوا يفزعون إذا تساقطت الشهب بكثرة غير معهودة.

[٢٢٥] النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص.ص ١٤٦-١٤٧.

www.mtenback.com

وتطير العرب من بعض النسوة، فقالوا: «امرأة مشؤومة» و «عَقْرَى حَلْقَى» أي عقرها الله وحلقها. بمعنى حلق شعرها، أو أصابها بوجع في حلقها، أو أنها تعقر قومها وتحلقهم بشؤمها وتستأصلهم[٢٢٦]، ذلك لأن الحالقة، عدت من علامات الشؤم ونذيراً من نذر الفرقة، لأن المرأة لا تحلق رأسها إلا إذا أصيب لها عزيز[٢٢٧]. وإذا تطير الزوج أو أهله من الزوجة طلقوها لاعتقادهم الشديد بالشؤم[٢٢٨]. كما عدوا المرأة العاقر شؤمًا وتطيروا منها، وكرهت، لأن الغاية الأولى من الزواج النسل. ولذلك قالت العرب: «من لا يلد لا وُلِد»[٢٢٩]. كما تطيروا من الفرس الأشقر، ومن عتبة الباب[٢٣٠].

ووصل التطير ببعضهم إلى التطير من الزاجر نفسه، فمن يزجر الطير يكون مشؤومًا، قال أبو الوضاح يذكر التطير من الزاجر[٢٣١]:

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغِرْبَانِ يَزْجُرُهَا ... عَلَى سَلَامَتِهِ لَابُدَّ مَشْؤُومُ

وَمُعْظَمُ الْغُنْمِ يَوْمَ الْغُنْمِ مَطْعَمُهُ ... أَنَّى تَوَجَّهُ وَالْمَحْرُومُ مَحْرُومُ

وَكُلُّ قَوْمٍ وَإِنْ عَزُّوا وَإِنْ كَثُرُوا ... عَرِيفُهُمْ بِأَثَافِي الشَّرِّ مَرْجُومُ

وعلى الرغم من كل ما قيل، فإن من العرب من أنكر الزجر والتطير ونحوه بعقله، وأبطل تأثيره بنظره، وذم من اغترَّ به، واعتمد في أمره عليه، وتوهم تأثيره، ومن هؤلاء ضابئ بن الحارث الذي قال في ذلك:

---

[٢٢٦] الزبيدي: تاج العروس، مادة عقر؛ جواد علي: المفصل، ج ٤، ص ٦١٩.

[٢٢٧] جواد علي: المفصل، ج ٤، ص.ص ٦٢١-٦٢٢.

[٢٢٨] جواد علي: المفصل، ج ٤، ص ٦١٩.

[٢٢٩] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص.ص ٩-١٠.

[٢٣٠] جواد علي: المفصل، ج ٤، ص ٦١٩.

[٢٣١] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ١١٣؛ جواد علي: المفصل، ج ٩، ص ٤٧٠.

www.mtenback.com

وَمَا عَاجِلاَتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَتَى نَجَاحًا وَلاَ عَنْ رَيْثِهِنَّ نَجِيْبُ
وَرُبَّ أُمُورٍ لاَ تَضِيْرُكَ ضَيْرَةً وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيْبُ
وَلاَ خَيْرَ فِيْمَنْ لاَ يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِيْنَ تَنُوبُ

وهو يريد: إذا لم تعجل له طير سانحة، فليس ذلك بمبعد خيراً عنه، ولا إذا أبطأت خاب، فعاجلها لا يأتيه بخير، وآجلها لا يدفع عنه شراً، إنما له ما قدر له [٢٣٢].

الطير والتطير:

وعلى الرغم من أن العرب تطيروا من كثير من ظواهر الطبيعة، فإن الطير كان أكثر ما تردد في أشعارهم في معنى الزجر والتطير به أو التفاؤل، وقد تحدثوا عن الزاجر إجمالاً باسم الطير والطيرة، وخصوا نوعًا من الطيور بالشؤم، ومنها الغراب والبومة، والوطواط، والعقاب، والحدأة، وغيرها من الطيور، إضافة إلى بعض الحيوانات كالإبل والظبي، والأرنب والثعلب، والذئب وغيرها من الحيوانات التي تعترض طريقهم، ويرونها في أسفارهم، إضافة إلى الصدى والهامة وغيرها [٢٣٣].

وكان المتطيرون يذكرون اسم الطائر أو الوحش الذي يتطيرون به، وقد يتطيرون من الطائر عمومًا دون تحديد اسمه، كما فعل عمر بن أبي ربيعة الذي تطير من الطير السانح، ولم يحدد نوعه، وجعله ينذر بالفراق والبعد، فقال[٢٣٤]:

فَلَمَّا عَرَفْتُ الْبَيْنَ مِنْهَا وَقَبْلَهُ جَرَى سَانِحٌ لِلْعَائِفِ الْمُتَطَيِّرِ
شَكَوْتُ إِلَى بَكْرٍ وَقَدْ حَالَ دُوْنَهَا مُنِيفٌ مَتَى يُنْصَبْ لَهُ الطَّرْفُ يُحْسَرِ

---

[٢٣٢] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣١٩.

[٢٣٣] الجاحظ: الحيوان، ج ٢، ص ٢٩٨.

[٢٣٤] عمر بن أبي ربيعة: ديوان، ص ٦٨.

www.mtenback.com

سِرَاعًا نَغَمُ الطَّيْرَ إِنْ سَـــنَحَتْ لَنَـــا وَإِنْ يَلْقَنَـــا الرُّكْبَـــانُ لاَ تَتَحـــيَّرِ

كما تطيرت الخنساء من الطير عمومًا، ورأت أنه أخبرها بما لا تحب، فأشركته بمأساتها بأخيها، وجعلته يخبرها بما تخشى وتخاف، وبما لا تحب سماعه، فقالت مصـــورة ذلك:

جَرَى لِيَ طَيْرٌ فِي حِمَـــامٍ حَذِرْتُـــهُ عَلَيْكَ ابْنَ عَمْرٍو مِنْ سَنِيْحٍ وَبَـــارِحِ

فالطير كله في نظرها تحول إلى شؤم استوى في ذلك السانح والبارح[٢٣٥].

وقال سليمان الأعمى يرثي بني برمك ويتطير من طائر النحس[٢٣٦]:

عَجِبْتُ لَمَا دَهَا فَضْـــلَ بْـــنَ يَحْيَـــى وَمَا عَجَبِي وَقَـــدْ غَضِـــبَ الإِمَـــامُ

جَرَى فِي اللَّيْلِ طَـــائِرُهُمْ بِنَحْـــسٍ وَصَبَّـــحَ جَعْفَـــرًا مِنْـــهُ اصْطِـــلاَمُ

كما تطير الأعشى من الطير عمومًا وسماه طير النحوس، وكان تطيره لما يجلبـــه من الشؤم، فقال[٢٣٧]:

تَلاَفَاهُمَا بِشْرٌ مِـــنَ الْمَـــوْتِ بَعْدَمَـــا جَرَتْ لَهُمَا طَيْرُ النُّحُـــوسِ بِأَشْـــأَمِ

وحكَّم الأخطل الطير وهو يحث برَّة بنت أبي هانئ التغلبي على مفارقة زوجها سعيد التغلبي، الذي رآه غير كفء للزواج منها، وأنه كان عليها أن تزجر الطير حـــين تقدم لخطبتها، لأنها لو فعلت، فستعلم أن زواجها منه غير مقبول للتفـــاوت بينهمـــا، فقال[٢٣٨]:

فَهَلاَّ زَجَرْتِ الطَّيْرَ إِذْ جَاء خَاطِبًـــا بِضَيْقَـــةَ بَيْـــنَ النَّجْـــمِ وَالدَّبَـــرَانِ

---

[٢٣٥] ابن تنباك: الزجر، ص ١٨ نقلاً عن الخنساء ص ٢٩.

[٢٣٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ٣٠١.

[٢٣٧] الأعشى: ديوان الأعشى، ص ١٧٧.

[٢٣٨] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٣٥٦.

www.mtenback.com

وتطيّروا بالطير عامةً، وخصّوا بذلك، أنواعًا منها، مثل الحمام، ولعل سبب ذلك الخوف من الموت والتطير منه، لأن في كسر حاء الحمام، حِمام. وقد تطير عبيد ابن الأبرص من الحمَام لأسباب أخرى. فالعرب تضرب المثل بغباء الحمامة وعيها عن إدراك ما يجب أن تفعله، فتقول: أخرق من حمامة، ذلك لأنها تجمع في عشها بين قضبان قوية تأخذها من النشم، وهو شجر من أشجار الجبال تتخذ منه العش، وعيدان الثمامة، وهي نبت قصير يضرب به المثل في الضعف، وذلك لحمقها. فيتكسر عشها ويقع البيض فينكسر، ورؤية الحمامة دليل على تعذر حصول ما يبغيه المتطير. قال عبيد ابن الأبرص يذكر ذلك[٢٣٩]:

عَيُّوا بِأَمْرِهِمُ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَهْ

جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ نَشَمٍ وَآخَرَ مِنْ ثُمَامَهْ

أما البوم فهو من الطيور التي يتطير منها كثير من العرب، ولعل ذلك بسبب منظرها الكئيب، وصوتها الحزين، وظهورها في الليل، لأن الظلام عندهم ينم عن أحاسيس غريبة، ومشاعر قلقه، ثم إن عيشها في الأماكن الخربة المهجورة المعطلة ومصارع القتلى والقبور جعل ذلك الشعور عندهم يزداد كلما رأوها أو سمعوا صوتها أو ذكرت في مجالسهم، فيقترن ذلك كله بالخراب والدمار أو الهلاك، ولذلك دعوها (أم الخراب) وتطيروا منها اعتقاداً بأنها تجلب الخراب والدمار لمن تقع على سطحه[٢٤٠]. ويقال: إن من أنواعها الصدى[٢٤١] والهامة. ولعل اعتقادهم أن الصدى والهامة والبومة هي روح الميت المرفرفة على القبر هو الذي حمل المتطيرين على التطير

---

[٢٣٩] الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص ١٨٩؛ الثعالبي: ثمار القلوب، ص ٣٦٩.

[٢٤٠] الدميري، كما الدين: حياة الحيوان الكبرى، القاهرة، مطبعة بولاق (د.ت) ج ١، ص١٨١.

[٢٤١] قال ابن الأعرابي، أصداؤها: بومها. جعل الصدى هو البوم.

www.mtenback.com

منها. وقد اعتقدوا أن المقتول إذا لم يثأر أهله له، تخرج من نفسه هامة، تبقى على قبره تصيح اسقوني إني صدية [٢٤٢]، ويرون أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يصبح كضرب من البوم وهو متوحش، وأنها لا تزال عند ولد الميت وغيره لتعلم ما يكون بعده فتخبره[٢٤٣].

ولاشك أن المراد في بداية الأمر هو الحفز على أخذ الثأر وعدم التساهل به، أو السماح بضياع دم أحد من القبيلة، ثم تطور حتى أصبح اعتقاداً راسخاً، وظنوا أن ذلك حقيقة، وتخيلوا ما يحدث عندما يظل دم القتيل دون ثأر له. فأصبح التغني بالهامة غرضاً في شعرهم، وتقليداً في حياتهم الاجتماعية، ومثلاً مردداً في أدبهم وأمثالهم[٢٤٤]. وسيطرت هذه المعتقدات على نفوس الناس، وأكسبتها التطير، والخوف، والتشاؤم من البومة والهامة والصدى.

قال الشاعر[٢٤٥]:

وَلاَ تَرْقُوَنْ لِي هَامَةٌ فَوْقَ مَرْقَبٍ ... فَإِنَّ زِقَاءَ الْهَامِ لِلْمَرْءِ عَائِبُ

تُنَادِيْ أَلاَ اسقُونِي وَكُلُّ صَدَى بِهِ ... وَتِلْكَ التِّي تَبْيَضُّ مِنْهَا الذَّوَائِبُ

وقال أبو داؤد الإيادي[٢٤٦]:

سَلَّطَ الْمَوتَ وَالْمَنُونَ عَلَيْهِمْ ... فَلَهُمْ فِي صَدَى الْمَقَابِرِ هَامُ

---

[٢٤٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٣٠٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٣، ص ١٢١.

[٢٤٣] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص ٣١١.

[٢٤٤] ابن تنباك: الزجر، ص٤-٥.

[٢٤٥] النويري: نهاية ا لأرب، ج٣، ص١٢١؛ أويس، وفاء خان زادة: شرح منهاج اليقين في أدب الدنيا والدين، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٨٠م)، ج١، ص٥٠٩؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣١٢.

[٢٤٦] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣١٢.

www.mtenback.com

وقد ذكر امرؤ القيس البوم وصداها، والظلمة التي تعيش فيها قائلاً[٢٤٧]:

تَلاقَيتُهَا وَالْبُومُ يَدْعُو بِهَا الصَّدَى وَقَدْ أَلْبَسَتْ أَفْرَاطُهَا ثِنْيَ غَيْهَبِ

وقال المرقش الأكبر يذكر البوم[٢٤٨]:

وَتَسْمَعُ تَزْقَاءً مِنَ الْبُومِ حَوْلَهَا كَمَا ضَرَبَتْ بَعْدَ الْهُدُوءِ النَّوَاقِسُ

وقد تردد ذكر الصدى والهامة أو البومة في شعر الكثير من الشعراء، من ذلك ما ورد على لسان الأعشى الذي كان يفزع في الفلاة من صوت ذكر البوم الذي ينعق في ظلام الليل البهيم، فيزيد في وحشته وروعته، فقال[٢٤٩]:

وَيَهْمَاءَ بِاللَّيْلِ غَطَّشُ الْفَلاَ ةِ يُؤْنِسُنِي صَوْتُ فَيَّادِهَا

كما يبدي تشاؤمه من القفار والبوم معًا، فيقول: إن المسالك قد أقفرت من كل شيء، حتى لا يؤنس سالكها في الليل إلا نعيق البوم، ونئيم الضَّوع[٢٥٠] وطائر الليل الأسود، وهو يكلف نفسه السير في هذه المسالك، يقتحم مجاهلها، ويلتمس العون عليها، فيقول[٢٥١]:

وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ الْجَوَّابُ دُلْجَتَهَا حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِي الشِّيَعَا

لاَ يَسْمَعُ الْمَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَانِسُهُ بِاللَّيْلِ إِلاَّ نَئِيمُ الْبُومِ وَالضَّوَعَا

---

[٢٤٧] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص ٣٨٤.

[٢٤٨] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ١٣٤.

[٢٤٩] الأعشى: ديوان الأعشى، ص١٢٣. يهماء: صحراء مطموسة المسالك. غطش: مؤنث أغطش أي مظلمة. الفياد: ذكر البوم.

[٢٥٠] الضوع: طائر من طيور الليل أسود كالغراب. والنئيم: صوته.

[٢٥١] الأعشى: ديوان الأعشى، ص ١٥٣. واللوث: القوت. العفرناة: الغول، شبه ناقته بها. لَعَا: دعاء للعاثر أن ينتعش، أي سلمت ونجوت.

www.mtenback.com

كَلّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِي وَشَايَعَنِي هَمِّي عَلَيْهَا إِذَا مَا آلَهَا لَمَعَا
بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا

وقال ذو الإصبع العدواني في هجائه لعمرو بن الأهتم، وهدده بالموت[٢٥٢]:

يَا عَمْرُو إِلاَّ تَدَعْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبْكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي

وقال مفلس الفقعسي:

وَإِنَّ أَخَاكُمْ قَدْ عَلِمْتُ مَكَانَهُ بِسَفْحِ قَبَا تَسْفِي عَلَيْهِ الأَعَاصِرُ
لَهُ هَامَةٌ تَدْعُو إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهَا بَنِي عَامِرٍ هَلْ لِلْهِلاَلِيِّ ثَائِرُ

وقد رسخ تأثير التطير من البوم في نفوس الناس إلى زماننا، فما زال الناس كبيرهم وصغيرهم، جاهلهم وعالمهم، يتطيرون من رؤية البوم، ومن لم يتطيّر على وجه الحقيقة فإن الشعور بالنفرة منها يعتريه بالرغم من إيمانه بأن البوم طائر كغيره من الطير لا يضر ولا ينفع وأن الضرّ والنفع إنما يقع بتقدير الله وحده.

ويتطير أبو ذؤيب الهذلي من العقاب، ويرى أنه شؤم كله، وهو حذر في عيافته للطير، إلا أنه يعتقد بها كل الاعتقاد، ويجزم بتأثيرها في تغيير الطلب، فيقول[٢٥٣]:

فَبَيْنَا يَمْشِيَانِ جَرَتْ عُقَابٌ مِنَ الْعُقْبَانِ خَائِنَةٌ دَفُوفُ
فَقَالَ لَهُ: وَقَدْ أَوْحَتْ إِلَيْهِ أَلاَ لِلَّهِ أُمُّكَ مَا تَعِيفُ

فهو يرى أن زجره لايخيب، ولا تمضي لحظات حتى يصير واقعاً. وقال في نفس المعنى[٢٥٤]:

---

[٢٥٢] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣١٢.

[٢٥٣] الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص٤٣٦؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٣٨.

[٢٥٤] الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص٤٤٢.

www.mtenback.com

فَقَالَتْ قَدْ خَشِيْتُ وَأَنْبَأَتْنِي بِهِ الْعُقْبَانُ لَوْ أَنِّي أَعِيْفُ

وتطير العرب من الصُّرد، الذي من أسمائه الأخطب، ويقال الأخيل كذلك، والأفكل والشقراق. فإذا عرض لهم كرهوه وفزعوا منه وارتعدوا[٢٥٥]. وسموه مقطع الظهور، ذلك لأنه إذا وقع على بعير يئسوا منه وإن كان سالمًا، وإذا لقي المسافر الأخيل يتطيرون منه[٢٥٦]. ومن دعائهم إذا غضبوا قولهم في الشؤم والتطير: «لاقيتَ أخيل». وكل طائر يتطير منه الإبل، فهو طير العراقيب وهذه لفظة يتكلمون بها عند الدعاء على المسافر[٢٥٧].

قال الفرزدق في طير العراقيب «الأخيل»[٢٥٨]:

إِذَا قَطَنًا بَلَّغْتنِيهِ ابْنَ مُدْرِكٍ فَلاقَيْتِ مِنْ طَيْرِ الْعَرَاقِيْبِ أَخْيَلا

وقد غلب على العرب التطير من الغراب، ولذا اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب[٢٥٩]، فالغراب أكثر ما يتطير به في باب الشؤم، ولذلك فالعرب كلما ذكروا مايتطيرون به ذكروا الغراب معه، وقد يذكر الغراب ولايذكرون غيره. ثم إذا ذكروا كل واحد من هذا الباب، لم يمكنهم أن يتطيروا منه إلا من وجه واحد. والغراب كثير المعاني في هذا الباب فهو المقدم في الشؤم[٢٦٠]. وهو عندهم أشأم الطيور على الإطلاق[٢٦١]. فكل شيء فيه يتشاءم منه. جناحه وصوته وسواد لونه، إذ يرى فيها

---

[٢٥٥] الزبيدي: تاج العروس، مادة فكل.

[٢٥٦] الألوسي: بلوغ الأرب، ح٢، ص٣٣٧.

[٢٥٧] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٣٧.

[٢٥٨] الفرزدق: ديوان الفرزدق،ج٢، ص١٤١؛ الألوسي: بلوغ الأرب،ج٢، ص٣٣٧.

[٢٥٩] الجاحظ: الحيوان، ج٢، ص٣١٦؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص١٩٠؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢،ص٣٣٥.

[٢٦٠] الجاحظ: الحيوان، ج٢، ص ٣١٦؛ الدميري؛ حياة الحيوان، ج٢، ص٢٤٤.

[٢٦١] الجاحظ: الحيوان، ج٢، ص٣١٦؛ الزبيدي: تاج العروس، مادة غرب، جواد علي: المفصل، ج٦، ص٧٩١-٧٩٢.

www.mtenback.com

المتطيرون حرمانًا وفراقًا. فإذا رأى المتطير جناح الغراب منكسرًا مائلاً إلى جهة مـــا، ورافعًا الجناح الآخر عكس الأول، أوسمع نعيقه، ظن أن ذلك نذير الفراق الأبـــدي، والبعد السرمدي.

يقول عامر بن الطفيل[٢٦٢]:

زَعَمَ الْوُشَاةُ بِـــأَنَّ دَوْمَـــةَ أَخْلَفَـــتْ ظَنِّـــي وَقَلَّـــصَ خَيْرَهَـــا الْمَوْعُـــودُ
صَدَقُوا وَبَيَّنَ لِـــي شَـــوَاكِلَ أَمْرِهَـــا وَجَرَى بِهِ حَـــرِقُ الْجَنَـــاحِ قَعِيْـــدُ
مُتَقَارِبُ الْحَنَكَيْنِ شَحَّاجُ الضُّحَـــى أَرِنٌ كَـــأَنَّ جَنَاحَـــهُ مَشْـــدُودُ
فَزَجَرْتُـــهُ أَلاَّ يُفَـــرِّخَ بَيْضَـــهُ وَيُصِيْبُهُ صَـــدِئُ الرُّصَـــافِ سَـــدِيْدُ

ولذلك قالوا إذا نعب الغراب (خيرًا خـــيرًا) وذلـــك مـــن بـــاب التفـــاؤل بالأضداد[٢٦٣]. والعامة تتطير من الغراب إذا صاح صيحة واحدة، فإذا ثنـــى تفـــاءل بعضهم به، وبعضهم يتطير، وإذا صاح ثلاث مرات فهو خير[٢٦٤].

قال الجاحظ يصور شدة التطير من الغراب: «وليس في الأرض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءم به، إلا والغراب عندهم أنكد منه، يـــرون أن صياحه أكثر إخبارًا، وأن الزجر فيه أعم»[٢٦٥].

وقد ضُربَ بشؤم الغراب الأمثال، فقيل «أشأم من غراب البين»[٢٦٦]، وقيل إنه سمي غراب البين لأنه إذا بان أهل الدار لطلب الكلأ في موضعه، وقع في موضع بيوتهم

---

[٢٦٢] ابن تنباك: الزجر، ص ٢٢ نقلاً عن ديوان عامر بن الطفيل، ص ٨٤.

[٢٦٣] الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص٤٥٧-٤٥٨.

[٢٦٤] الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص ٤٥٧؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص٢٥٥.

[٢٦٥] الجاحظ: الحيوان، ج٢، ص ٣١٦؛ جواد علي: المفصل، ج ٦، ص٧٩٢-٧٩٣.

[٢٦٦] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٣٤.

www.mtenback.com

يتلمس ويتقمم، فتطيروا منه، إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا [٢٦٧]. قال الأعشى يتطير من الغراب ويسميه غراب البين، ويقول له: بأي شيء تخبرك الطير الراجعة إلى أوكارها من غراب ينعق بالبين، أو تيس يمر من يسارك[٢٦٨]:

مَا تَعِيْفُ الْيَوْمَ فِي الطَّيْرِ الرَّوَحْ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ أَوْ تَيْسٍ بَرَحْ

وقال ابن الزِّبَعْرَى في قصيدة له يوم أحد[٢٦٩]:

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلْ

وقد يكون من جملة أسباب تشاؤم العرب من الغراب، أنه كان يضر بإبلهم. فقد ذكروا أنه إذا وجد دبرة في ظهر بعير، أو قرحة في عنقه، سقط عليها ونقره وعقره. ولذلك كانوا إذا رأوا دبرة في ظهر البعير، غرزوا في سنامه إما قوادم ريش أسود [٢٧٠]، وإما خرقًا سوداء لتفزع الغربان، فلا تقترب منه، ولا تسقط عليه. وقد سمى العرب الغراب لذلك ابن دأية، لأنه ينقر دبرة البعير أو قرحة عنقه حتى يبلغ إلى دايات العنق، وما اتصل بها من خرزات الصلب وفقار الظهر[٢٧١]. وهذا جرير يؤكد ذلك، فيذكر أن الغراب إذا وقع على قروح ركائبهم، أبعدوه عنها، ورموه بما يستطيعون، فقال[٢٧٢]:

---

[٢٦٧] الجاحظ: الحيوان، ج ٢، ص ٣١٥؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص ٢٤٦؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٣٥.

[٢٦٨] الأعشى: ديوان الأعشى، ص ٣٨٧؛ ابن رشيق: العمدة، ج ٢، ص ٢٦٠.

[٢٦٩] جواد علي: المفصل، ج ٩، ص ٧٠٧.

[٢٧٠] الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص ٤١٦؛ جواد علي: المفصل، ج٦، ص ٧٩٥.

[٢٧١] الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص.ص ٤١٥، ٤٣٩.

[٢٧٢] جرير: ديوان جرير، ص ٣٤٦. والصفاح: الجنوب واحدها صفح. والجلب: ما أجلب منها، يقال جلب الجرح وأجلب إذا جف.

www.mtenback.com

نَرْمِي الْغُرَابَ إِذَا رَأَى بِرِكَابِنَا جَلْبَ الصِّفَاحِ وَدَامِيَاتٍ بِالكَلَى

وقد كنوا عن الغراب بكنى عديدة، فقالوا له: أبو حاتم، وحاتم. والحتمة: هي السواد وهو مشؤوم، لأنه يحتم الفراق. قال أحدهم(٢٧٣):

إِذَا مَا رَأَتْ عَبْسٌ مِنَ الطَّيْرِ جَاثِمًا شَدِيْدَ سَوَادِ الزِّفِّ ظَلَّتْ تَفَزَّعُ

وقال النابغة الذبياني يصف الغراب بالسواد، ويتشاءم من ذلك، لأنه نذير فراق الأحبة(٢٧٤):

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الْغُرَابُ الأَسْوَدُ

كما سموه بأسماء كثيرة منها: أبو جحادف، وأبو الجراح، وأبو المرقال، وأبو حذر، وأبو زيدان، وأبو زاجر وأبو الشؤم، وأبوغيات. ووضعوا الأمثلة على لسانه وعنه، من ذلك أنهم قالوا إن الغراب أراد أن يقلد القطاة في مشيها، فحاكاها، ولكنه لم يفلح في المشي مشيها، فلما أراد العودة إلى مشيته الأولى أضل مشيته، إذ نسيها فنسي المشيتين، ولذلك سموه: أبا المرقال (٢٧٥). وضربوا المثل بالغراب الأعصم، فقالوا: «أعز من الغراب الأعصم» للشيء القليل الوجود(٢٧٦). وأوردوا له قصصًا مع الديك ومع حيوانات أخرى. ورموه بالفسق والفجور(٢٧٧).

وكان العرب إذا أرادوا أن يصفوا أرضًا بالخصب شبهوها بسواد الغراب، فقالوا: «وقعوا في أرض لا يطير غرابها». وإذا أرادوا التعبير عن الانتقال من مرحلة

---

(٢٧٣) ابن تنباك: الزجر، ص١٨-١٩ نقلاً عن ديوان الهذليين، ج١، ص١٠١.

(٢٧٤) ابن تنباك: الزجر، ص ١٩ نقلاً عن ديوان الهذليين، ج ١، ص١٣٦.

(٢٧٥) الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص١٢٩؛ الدميري: حياة الحيوان، ج٢، ص١٧٢.

(٢٧٦) الدميري: حياة الحيوان، ج٢، ص١٧٣.

(٢٧٧) الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص٣١٧؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص٢٧٣ وما بعدها فسق الغراب وتأويل رؤياه.

www.mtenback.com

الشباب إلى مرحلة الشيخوخة، وعن التهام الشيب لسواد الرأس، قالوا: «طار غـــراب البين»[٢٧٨]. ذلك أن العرب رأوا أن الغراب لا يشيب وضربوا به المثـــل في ذلـــك: فقالوا: «حتى يشيب الغراب، ويبيض القار». قال جميل بثينة يشبه شعره بجناح الغراب الأسود، ذلك الشعر الذي غيره الزمن الماكر فقال[٢٧٩]:

وَإِذْ لُمَّتِـــي كَجَنَـــاحِ الْغُـــرَا ... بِ تُرَجَّـلُ بِالْمِسْـكِ وَالْعَنْـــبَرِ

فَغَـيَّرَ ذَلِـــكَ مَـــا تَعْلَمِـــينَ ... تَغَـــيُّرُ ذَا الزَّمَـــنِ الْمُنْكَـــرِ

كما قال امرؤ القيس يشبه سواد رأسه الذي هجره بعد أن أصبح كهلاً، بسواد الغراب، فقال[٢٨٠]:

وَطَارَ غُرَابُ الْغَيِّ عَنِّي فَلَـــمْ يَعُـــدْ ... وَأَصْبَحْتُ كَهْلاً قَاعِدًا مِنْ أُولِي النُّهَى

عد العرب الغراب من ألأم الطير وأخبثها، وهو من عبيد الطـــير وليـــس مـــن أحرارها، كما أنه خبيث الفعل، خبيث المطعم، لذلك عدوا أكله عاراً يعير به من يقدم عليه، قال أحد الشعراء يذكر ذلك[٢٨١]:

فَمَـــا بِالْغَـــارِ مَـــا عَيَّرْتُمُونَـــا ... شِواءُ النَّاهِضَـــاتِ مَـــعَ الْخَبِيْـــصِ

فَمَـــا لَحْـــمُ الْغُـــرَابِ لَنَـــا بِـــزَادٍ ... وَلاَ سَـــرَطَانُ أَنْهَـــارِ الْـــبَرِيْصِ

وأكثر من تشاءم بالغراب، وضاق بنعيقه، وكره رؤيته المتغزلون الذين يقضـــون الوقت في محاولة الوصال، وصدق الموعد المرتقب، وتحقيق اللقاء الموعود على وجل، أو الرحيل على غرة دون أن يتأهب العاشق للوداع، أو يلقي النظرة العجلى[٢٨٢]. ومـــن

---

[٢٧٨] الزبيدي: تاج العروس، مادة: غرب.

[٢٧٩] جميل بثينة: ديوان جميل بثينة، ص١٠٠.

[٢٨٠] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص١٣١. الغي: الفساد. النهي: العقل.

[٢٨١] الجاحظ: الحيوان، ج ٢، ص ٣١٧. التعاير بأكل لحم الغراب.

[٢٨٢] ابن تنباك: الزجر، ص٢٢.

www.mtenback.com

هؤلاء عمر بن أبي ربيعة، الذي شكا ألم الفراق بعد أن نعق الغراب، وأدى نعيقه إلى كارثة حلت به، وقطعت أمله بلقاء صاحبته، فقال[٢٨٣]:

نَعَقَ الْغُرَابُ بِبَيْنِ ذَاتِ الدُّمْلُجِ ... لَيْتَ الْغُرَابَ بِبَيْنِهَا لَمْ يَسْحَجِ

نَعَقَ الْغُرَابُ وَدَقَّ عَظْمَ جَنَاحِهِ ... وَذَرَتْ بِهِ الأَرْيَاحُ بَحْرَ السَّمْهَجِ

واعتقد لقيط بن زرارة حين سمع نعيق الغراب، أن الفراق لابد منه، فقال يصور ذلك[٢٨٤]:

أَمِنْ دِمْنَةٍ أَقْفَرَتْ بِالْجَنَا ... بِ إِلَى السَّفْحِ بَيْنَ الْمَلاَ فَالْهِضَابِ

بَكَيْتَ لِعِرْفَانِ آيَاتِهَا ... وَهَاجَ لَكَ الشَّوْقَ نَعْبُ الْغُرَابِ

وتطير حسان بن ثابت من الغراب، وذلك لأن صوته يشير إلى الغربة والاغتراب، فقال في ذلك[٢٨٥]:

وَبَيَّنَ فِي صَوْتِ الْغُرَابِ اغْتِرَابُهُمْ ... عَشِيَّةَ أَوْفَى غُصْنَ بَانٍ فَطَرَّبَا

وَفِي الطَّيْرِ بِالْعَلْيَاءِ إِذْ عَرَضَتْ لَنَا ... وَمَا الطَّيْرُ إِلاَ أَنْ تَمُرَّ وَتَنْعَبَا

أمَّا الآخر فإنه يتبرم بشدة من الغراب، ويعاني من التشاؤم به وبحركاته، لأنه كلما ذكر حبيبته، طار عن شماله لينذره بأنه لن يتمكن من القرب منها، والوصول إليها. كأن عنده علم الغيب بالتفريق بينهما، فما كان منه إلا أن يدعو على الغراب بألاّ يتمكن من بناء عش لبيضه، وألاّ يبقى ريش على جناحه، جزاء ما كان يلاقي من شؤوم، خيّل إليه استحالة لقائه واستقراره مع حبيبته، فقال[٢٨٦]:

---

[٢٨٣] ابن أبي ربيعة: الديوان ص٨٧.

[٢٨٤] ابن تنباك: الزجر، ص٢٢.

[٢٨٥] ديوان حسان بن ثابت، ص٧٥؛ النويري: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٣٤، ابن تنباك: الزجر، ص٢٤.

[٢٨٦] الأصبهاني: الزهرة، ج١، ص٣٤.

www.mtenback.com

أَلا يَا غُرَابَ الْبَيْـــنِ مَـالَكَ كُلَّمـا ذَكَرْتُ لُبَيْنَى طِرْتَ لِيْ عَنْ شِـمَالِيَا
أَعِنْدَكَ عِلْمُ الْغَيْبِ أَمْ أَنْتَ مُخْـبِرِي بِحَقٍّ عَنِ الأَمْرِ الَّذِيْ قَـدْ بَـدَا لِيَـا
فَلاَ حَمَلَتْ رِجْـلاَكَ عُشًّـا لِبَيْضَـةٍ وَلاَ زَالَ رِيْشٌ مِنْ جَنَـاحِكَ بَالِيَـا

ويتطير زهير بن أبي سلمى من الغراب، ويطالب بصرف الهوى والتذكـر لأن ذلك قد فات، فلا سبيل للذكرى طويلاً، ولا أمل في الوقوف، فليكن المرور مع اليأس في اللقاء، لأن الغراب صادق بما أخبر، فيقول[٢٨٧]:

فَعَدِّ عَمَّـا تَـرَى إِذْ فَـاتَ مَطْلَبُـهُ أَمْسَى بِذَاكَ غُرَابُ الْبَيْنِ قَـدْ نَعَقَـا

ويرى زهير أن عليه أن يذهب إلى ما يريد ولا يتشاءم أو يتطير، إذ لابـد مـن ذلك حتى لا يستمر في البكاء على ما لا يتحقق، وليس منه طائل، فقال[٢٨٨]:

جَرَتْ سَنَحًا فَقُلْـتُ لَهَـا:أَجِـيْزِي نَـوَى مَشْـمُولَةً فَمَتَـى اللِّقَـاءُ

أما عنترة بن شداد، فيقف مع الغراب طويلاً، ويشكو لؤمه وما فعل به، ويتطير منه، ويراه نذير شؤم، يردد على مسامعه ما يكره، ويسمعه في كل لحظة ما لايحـب سماعه، وكأنه يطلب ثأرًا عنده فيقول فيه[٢٨٩]:

إِذَا صَـاحَ الْغُـرَابُ بِـهِ شَـجَانِي وَأَجْـرَى أَدْمُعِـي مِثْـلَ اللآلِـي
وَأَخْـبَرَنِي بِأَصْنَـافِ الرَّزَايَـا وَبِـالْهِجْرَانِ مِـنْ بَعْـدِ الْوِصَـالِ
غُرَابَ الْبَيْـنِ مَـالَكَ كُـلَّ يَـوْمٍ تُعَـانِدُنِي وَقَـدْ أَشْـغَلْتَ بَـالِي

---

[٢٨٧] زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٤١؛ ابن تنباك: الزجر، ص٢٣.

[٢٨٨] زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير، ص٨. وأجيزي: جاوزي واقطعي وانفـذي. النـوى: البعـاد. المشمولة: السريعة الانكشاف.

[٢٨٩] عنترة بن شداد: ديوان عنترة بن شداد، ص ١٢٧؛ ابن تنباك: الزجر، ص ٢٣.

www.mtenback.com

ويرى عنترة أن غراب البين يمعن في بغضه له، ويعانده، حتى كأنه قتل له قتيلاً فهو يلاحقه، ويطلب الثأر منه، ويعلن عداوته الأبدية، فقال[٢٩٠]:

وَعَـادَانِيْ غُـرَابُ الْبَيْـنِ حَتَّـى ... كَـأَنِّي قَـدْ قَتَلْـتُ لَـهُ قَتِيْـلا

وغراب البين هو الذي أعلمه بفراق أحبته، حتى جرى بينه وبينهم هذا الفراق. ذلك الغراب المولع بالأخبار المفجعة، وأكثرها فاجعة فراق الأحبة، الأمر الذي سبب له كثيراً من المصائب فاعتراه الهم، والغم، والمرض، وقد أراد الانتقام من الغراب والثأر لنفسه منه، فزجره عن تفريخ بيضه، وأبعده عن وكره ليشعر بألم الفراق، وحرقة البعاد، ثم ليجعله خائفاً يتوجع مثله، فقال[٢٩١]:

ظَعَـنَ الَّذِيْـنَ فِرَاقُهُـمْ أَتَوَقَّـعُ ... وَجَـرَى بِبَيْنِهِـمُ الْغُـرَابُ الأَبْقَـعُ

حَرِقُ الْجَنَاحِ كَـأَنَّ لِحْيَـيْ رَأْسِـهِ ... جَلَمَـانُ بِالأَخْبَـارِ هَـشٌّ مُولَـعُ

فَزَجَرْتُـهُ أَلاَّ يُفَـرِّخَ عُشَّـهُ ... أَبَـدًا وَيُصْبِـحَ خَائِفًـا يَتَفَجَّـعُ

إِنَّ الَّذِيْـنَ نَعَبْـتَ لِـي بِفِرَاقِهِـمْ ... هُمْ أَسْهَرُوا لَيْلِي التَّمَـامَ فَـأَوْجَعُوا

وكان أمية بن أبي الصلت يتطير من الغراب، ويذكر أهل الأخبار أنه بينا كان يشرب مع إخوان له في قصر عيلان بالطائف، إذ سقط غراب على شرفة قصره، فنعب نعبة واحدة، فقال أمية: «بفيك الكثكث» أي التراب، وتطير منه، وقد مات فعلاً في مكانه بعد نعيبه للمرة الثالثة[٢٩٢].

---

(٢٩٠) عنترة بن شداد: ديوان عنترة بن شداد، ص١٢٦.

(٢٩١) الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص٤٤٢.

(٢٩٢) الأبشيهي: المستطرف، ص٥٢٠؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص١٧٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص١٣٩.

www.mtenback.com

ويبدو أن أمية حين رأى الغراب وسمع نعيقه مع اعتقاده بالتطير، خاف خوفًا شديدًا فتشاءم، وأصيب بصدمة سببت له توقفًا في القلب، فمات[٢٩٣]. وفي شعر أمية ابن أبي الصلت دلائل على تطيره من الغراب، من ذلك قوله[٢٩٤]:

بِآيَةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةَ الدِّيْكِ الْغُرَابُ

فالغراب ليس مقدر شؤم فحسب، بل هو موصوف بالغدر أيضًا. فقد غدر بالديك الذي كان نديمه يومًا من الأيام، وتركه حبيسًا لينجو بنفسه[٢٩٥].

وقد أخذت قصة كثير مع حبيبته عزّة شكل الأسطورة، فزعموا أن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، خطب عزة لكثير، وكتب إليه من الشام، أن أقدم إليَّ حتى أزوجك عزة. فسار كثير باتجاه الشام فرحًا لتحقق أمله، ولكنه رأى في طريقه غرابًا، فتطير وتشاءم مما رأى، وعرف أن الأمر لن يتم، ولو كان الخاطب عبدالملك أمير المؤمنين. فقال يذكر تشاؤمه منذ أن رأى الغراب[٢٩٦]:

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَانَةٍ يُنَتِّفُ أَعْلَى رِيْشِهِ وَيُطَايِرُهْ
فَقُلْتُ وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ زَجَرْتُهُ بِنَفْسِيَ لِلنَّهْدِي هَلْ أَنْتَ زَاجِرُهْ
فَقَالَ غُرَابٌ لاِغْتِرَابٍ مِنَ النَّوَى وَفِي الْبَانِ بَيْنٌ مِنْ حَبِيْبٍ تُجَاوِرُهْ
فَمَا أَعْيَفَ النَّهْدِيَّ لاَ دَرَّ دَرُّهُ وَأَزْجَرَهُ لِلطَّيْرِ لاَ عَزَّ نَاصِرُهْ

وعندما وصل إلى هذا الحال خالجه الشك فيما وقع لمحبوبته وذهب يلتمس تكذيب الطير، فيمم نحو أحد العائفين من بني لِهب، وأخبره ما يخشاه من فقد عزّة،

---

[٢٩٣] جواد علي: المفصل، ج٦، ص٧٩٦.

[٢٩٤] الجاحظ: الحيوان ،ج٢، ص٣٢٠.

[٢٩٥] الجاحظ، الحيوان، ج٢، ص٣٢٠.

[٢٩٦] كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص ٤٦١ -٤٦٢؛ الحصري القيرواني: زهر الآداب، ج١، ص٥٢٥، الأصبهاني: الزهرة، ج١، ص٣٣٧؛ ابن تنباك: الزجر، ص٢١.

www.mtenback.com

ورجاه أن يبشره بسلامتها وتكذيب ما سمعه من النهدي، فنظر اللّهْبِيُّ في حركة الظبي، وفسر دلالتها بموت عزة، وأنه لا يسع كثير إلا البكاء عليها، فإن لم يكن الموت فهناك احتمال آخر وهو أنها تتزوج غيره رجلاً من بني كعب، ثم حمل كثير نفسه وما يعاني من لواعج الحرمان، ويمم صوب الشام، ليقف بنفسه على حقيقة الأمر، فوجد عزة قد ماتت[٢٩٧].

وإذا كان كثير عزة قد طلب من النهدي أن يزجر له الطير ثم استعان ببني لهب في زجره مرةً أخرى، وذلك لاشتهارهم وقدرتهم على العيافة. فقد أعلمه اللهبي بأن من يريد الزواج منها، إما أن تكون ماتت أو قد اتخذت زوجًا لها من بني كعب، فحركة الغراب أنبأته بما لا يود أن يسمع أو يعلم[٢٩٨]:

تَيَمَّمْتُ لِهْبًا أَبْتَغِي الْعِلْمَ عِنْدَهُمْ ... وَقَدْ رُدَّ عِلْمُ الْعَائِفِيْنَ إِلَى لِهْبِ

تَيَمَّمْتُ شَيْخًا مِنْهُمُ ذَا بِجَالَةٍ ... بَصِيرًا بِزَجْرِ الطَّيْرِ مُنْحَنِي الصُّلْبِ

فَقُلْتُ لَهُ: مَاذَا تَرَى فِي سَوَانِحٍ ... وَصَوْتِ غُرَابٍ يَفْحَصُ الْوَجْهَ بِالتُّرْبِ

فَقَالَ: جَرَى الظَّبْيُ السَّنِيحُ بَيْنَهَا ... وَقَالَ غُرَابٌ: جُدَّ مُنْهَمِرَ السَّكْبِ

فَإِلاَّ تَكُنْ مَاتَتْ فَقَدْ حَالَ دُونَهَا ... سِوَاكَ خَلِيْلٌ بَاطِنٌ مِنْ بَنِي كَعْبِ

ثم إن جميلاً وقد عانى من الطيرة، أخذ يخاطب الغراب في حزن وقلق طالبًا منه أن يخفي صوته القبيح الذي ينذر بالشؤم. يقول[٢٩٩]:

أَلاَ يَا غُرَابَ الْبَيْنِ فِيمَ تَصِيْحُ ... فَصَوْتُكَ مشْئِيٌّ إِلَيَّ قَبِيْحُ

وَكُلُّ غَدَاةٍ لاَ أَبَالَكَ تَنْتَحِي ... إِلَيَّ فَتَلْقَانِي وَأَنْتَ مُشِيْحُ

---

[٢٩٧] كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص٤٦١-٤٦٢؛ ابن تنباك: الزجر، ص٢١.

[٢٩٨] كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص٤٦٩-٤٧٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص١٤٠- ١٤١.

[٢٩٩] جميل بثينة: ديوان جميل بثينة، ص٤٦.

www.mtenback.com

تَحُدِّثُنِي أَنْ لَسْتُ لاَقِي نِعْمَةً بَعُدْتْ وَلاَ أَمْسَى لَدَيْكَ نَصِيْحُ
فَإِنْ لَمْ تُهِجْنِي ذَاتَ يَوْمٍ فَإِنَّهُ سَيَكْفِيْكَ وَرْقَاءُ السَّرَاةِ صَدُوْحُ

وكرر ذلك مراراً في مثل قوله الآخر(٣٠٠):

أَلاَ يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَوْنُكَ شَاحِبٌ وَأَنْتَ بِرَوْعَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيْرُ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُوْلُ فَأَصْبَحَتْ هُمُومُكَ شَتَّى وَالْجَنَاحُ كَسِيْرُ

كما تطير من صوت غراب وكأنه يناديه، ثم توهم أنه قد أعلمه برحيل حبيبته ليلاً مع أهلها، وقد سار وراءها حاد منهم، فقال(٣٠١):

رَحَلَ الْخَلِيْطُ جَمَالُهُمْ بِسَوَادِ وَحَدَا عَلَى أَثَرِ الْبَخِيْلَةِ حَادِيْ
مَا إِنْ شَعَرْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِبَيْنِهِمْ حَتَّى سَمِعْتُ بِهِ الْغُرَابَ يُنَادِي

وهذا الأعشى يتطير ويخشى الصرم من حبيبته، ويخشى أن يسمع صوت الغراب الذي يعلن انقطاع الصلة وبعد اللقاء، فيقول(٣٠٢):

إِنِّي أَخَافُ الصَّرْمَ مِنْهَا أَوْ شَحِيْجَ غُرَابِهَا

ويتطير عامر بن الطفيل من الغراب، ويراه يجري بالنحس، وينقل الشؤم، فيقول فيه(٣٠٣):

إِذَا يَمَّمْنَ خَيْلاً مُسْرِعَاتٍ جَرَى بِنُحُوسِ طَيْرِهِمُ الْغُرَابُ

(٣٠٠) جميل بثينة : ديوان جميل بثينة، ص ٨٩.
(٣٠١) جميل بثينة: ديوان جميل بثينة، ص ٦٦.
(٣٠٢) الأعشى: ديوان الأعشى، ص٣٠٣.
(٣٠٣) ابن تنباك: الزجر، ص٢٢. نقلاً عن ديوان عامر بن الطفيل، ص٢١.

www.mtenback.com

وجرير يرى أن الغراب مولع ببعد الأحبة، وهو يصيح دائمًا وينعب، الأمر الذي ينذر بالفراق، وهو يتمنى ألا يتمكن الغراب من النعيب مرة أخرى وأن تقطع أوداجه، فقال[٣٠٤]:

إِنَّ الْغُرَابَ بِمَا كَرِهْتُ لَمُولَعٌ ... بِنَوَى الأَحِبَّةِ دَائِمُ التَّشْحَاجِ

لَيْتَ الْغُرَابَ غَدَاةَ يَنْعَبُ بِالنَّوَى ... كَانَ الْغُرَابُ مُقَطَّعَ الأَوْدَاجِ

كما تصور أن هذا النعيب ماهو إلا بين عاجل، ولا يريد للركب أن يسير، ولكن ماذا يفعل إذا كان الركب قد ظعن، وتم الأمر، فلينعب الغراب وليستسلم الركب لقدره المحتوم، فقال[٣٠٥]:

نَعَبَ الْغُرَابُ فَقُلْتُ بَيْنٌ عَاجِلٌ ... مَاشِئْتَ إِذْ ظَعَنُوا لِبَيْنٍ فَانْعَبِ

وهدبة بن الخشرم يتطير أيضًا من صوت الغراب، ويخشى نعيقه، حتى إنه لا يجد مخرجًا إلا بالدعاء عليه، بأن يمتلئ فاه بالتراب، حتى يخرس ولا ينعق ذلك النعيق الذي يبشر بفراق الأحباب المرغوب بقاؤهم إلى جانب محبوبيهم، ولكن أين لهذا الدعاء أن يستجاب، فقال معبرًا عما يجيش في صدره[٣٠٦]:

أَلاَ نَعَقَ الْغُرَابُ عَلَيْكَ ظُهْرًا ... أَلاَ فِي فِيكَ مِنْ ذَاكَ التُّرَابُ

يُخَبِّرُنَا الْغُرَابُ بِأَنْ سَتَنْأَى ... حَبَائِبُنَا فَقَدْتُكَ يَا غُرَابُ

وكثر الذين يدعون على الغراب من الناس، فمنهم من يدعو عليه بكسر بيضه لينقطع نسله، وآخرون بنتف ريشه فلا يقوى على الطيران، وبعضهم رأى أن يذبح ما دام أنه نذير شؤم، يجلب التطير، قال الشاعر[٣٠٧]:

---

[٣٠٤] جرير: ديوان جرير، ص١٣٦؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٣٦-٣٣٧؛ ابن تنباك: الزجر، ص٢٤.

[٣٠٥] جرير: ديوان جرير، ص٢٤٦.

[٣٠٦] ابن تنباك: الزجر، ص٢٤-٢٥؛ نقلاً عن شعر هدبة بن الخشرم، ص ٥٨.

[٣٠٧] الأصبهاني: الزهرة، ج ١، ص ٣٤٢.

www.mtenback.com

أَمِنْ أَجْلِ غُرْبَانٍ تَصَايَحْنَ غُدْوَةً ... بِبَيْنِ حَبِيْبٍ مَاءُ عَيْنِيْكَ يُسْفَحُ
أَلاَ يَا غُرَابَ الْبَيْنُ لاَ صِحْتَ بَعْدَهَا ... وَأَمْكَنَ مِنْ أَوْدَاجِ حَلْقِكَ مَذْبَحُ

وذهب بعضهم يفسر وقوع الغربان على الدار بأنه نذير شؤم لا يمكن تلافيه، ومن يقع الغراب في داره يتطير ويعجز عن فعل أي شيء. لأن وقوعه في الدار نذير بوقوع مكروه، فيصبح الإنسان مضطربًا في تصرفاته. فهذا الشاعر ذو الرمة حين وجد الغراب في داره أدرك أنه سيحدث ما يكره، وتطير، وقطع الأمل، فأصبح مضطربًا يقوم بعمل ويلغيه، فهو يخط في التراب، ويمحو الخط ثم يعيده، وقد عبر عن ذلك قائلاً[٣٠٨]:

عَشِيَّةَ مَالِي حِيْلَةٌ غَيْرَ أَنَّنِي ... بِلَقْطِ الْحَصَى وَالْخَطِّ فِي التُّرْبِ مُولَعُ
أَخُطُّ وَأَمْحُو الْخَطَّ ثُمَّ أُعِيْدُهُ ... بِكَفِّي وَالْغِرْبَانُ بِالدَّارِ وُقَّعُ

ويتحدث علقمة الفحل عن التطير من الغراب، ويتساءل كيف يزجر السليم الغربان؟! مما لاشك فيه أن من يفعل ذلك يكون ممتلئًا تطيرًا وشؤمًا، وجدير به ألاّ يلتمس الحلول في زجرها، يقول[٣٠٩]:

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغِرْبَانِ يَزْجُرُهَا ... عَلَى سَلاَمَتِهِ لاَبُدَّ مَشْؤُوْمُ

كما قال أحدهم متطيرًا من نعيب الغراب[٣١٠]:

نَعَبَ الْغُرَابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَنْعَبِ ... بِالْبَيْنِ مِنْ سَلْمَى وَأُمِّ الْحَوْشَبِ
لَيْتَ الْغُرابَ رَمَى حَماطَةَ قَلْبِهِ ... عَمْرُو بِأَسْهُمِهِ الَّتِي لَمْ تَلْغَبِ

وقال أبو الشيص متطيرًا من الغراب، وزجره[٣١١]:

---

[٣٠٨] ذو الرمة: ديوان ذي الرمة، ج ٢، ص ٧٢٠.
[٣٠٩] جواد علي: المفصل، ج ٩، ص ٨٣٤.
[٣١٠] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٧٠.
[٣١١] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٦٠٩.

www.mtenback.com

أَشَاقَكَ وَاللَّيْلُ مُلْقِي الْجِرَانِ ... غُرَابٌ يَنُوحُ عَلَى غُصْنِ بَانِ
أَحَصُّ الْجَنَاحِ شَدِيْدُ الصِّيَاحِ ... يَبْكِي بِعَيْنَيْنِ مَا تَدْمَعَانِ
وَفِي نَعَبَاتِ الْغُرَابِ اغْتِرَابٌ ... وَفِي الْبَانِ بَيْنٌ بَعِيْدُ التَّدَانِي
أَهَلْ لَكَ يَا عَيْشُ مِنْ رَجْعَةٍ ... بِأَيَّامِكَ الْمُشْرِقَاتِ الْحِسَانِ

ومن عجب اقتران الغراب بغصن البان، وكأن الغراب يختار من الأشجار شجرة البان وحدها دون غيرها ليقع عليها وينعب حظ المتطيرين. وليس في واقع الأمر إلا أن العرب ذهبت في تشاؤمها وتفاؤلها مذهبًا جعلت للألفاظ دلالة على نتائج الأحداث، وعندئذ جعلت الغراب للغربة، والبان وهو غصن غض جميل للبينونة والبعد. وفي الحقيقة فإن الغراب خلق من خلق الله وهو لا يحمل خيراً ولا شراً، وهو يقع على الأشجار والأحجار دون تمييز أو انتقاء، ولكن الاعتقاد وإن كان باطلاً فإن أثره في النفوس كبير، وقد يمارسه العقلاء لا شعوريًا بحكم الموروث الشعبي الذي يغذي العقائد بطرق مباشرة وغير مباشرة.

مثلما تطير العرب من الطيور، فإنهم تطيروا من بعض الحيوانات، وأكثر الحيوانات التي تطيروا منها، الحيوانات التي يكون لعيونها بريق أو لمعان خاص، ورأوا أنها تصيب بالعين. وقد حمل هذا الاعتقاد بعض الناس على التخوف منها والابتعاد عنها. بل بلغ الخوف ببعضهم أن امتنعوا عن ذكر اسم أمثال تلك الحيوانات، أو تهجي حروف أسمائها خشية العين. ورأوا أن الكلاب من الحيوانات التي تصيب بعيونها، ولخوفهم من إصابة عيون الحيوان، كرهوا الأكل بين يديها، فكانوا إما أن يشغلوها عن النظر إليهم بشيء يرمونه لها لتأكله، ولو كان عظمًا. وإما أن يطردوها فيتخلصوا من إصابتهم بعيونها[٣١٢].

[٣١٢] الجاحظ: الحيوان، ج ٢، ص ١٣٢.

www.mtenback.com

ومن الحيوانات التي تطيروا بها الثور الوحشي، وقد حكى ذو الرمة أنه عرض له ثور وحشي، فاستثاره وأحزنه، وجلب له الهموم والآلام، فقال فيه[٣١٣]:

جَرَى أَدْعَجُ الرَّوْقَيْنِ وَالْعَيْنِ وَاضِحُ الـ ـقرا أَسْفَعُ الْخَدَّيْنِ بِالْبَيْنِ بَارِحُ
بِتَفْرِيقِ طَيَّاتٍ تَيَاسَرْنَ قَلْبَهُ وَشَقَّ الْعَصَا مِنْ عَاجِلِ الْبَيْنِ قَادِحُ

كما تطيروا من الثور الأعضب (أي مكسور القرن)[٣١٤].

ومن الغريب في أمرهم أنهم تطيروا من الناقة والبعير، ووجهة نظرهم في ذلك أنها وسيلة بها يتباعد الأهل والأقارب، فيسافرون وقد لا يعودون؛ فبها يتم الفراق الحقيقي، وينأى الحبيب عن حبيبته، وليس التفريق مجلوبًا بنعقة غراب، أو بوقفته على غصن شجرة، فهذان لا يفرقان الناس مثلما تفرقهم الدواب الرواحل. قال أحد الشعراء يوضح سبب تطيره من الناقة[٣١٥]:

لَهُنَّ الْوَجَى إِذْ كُنَّ عَوْنًا عَلَى النَّوَى وَلاَ زَالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَكَسِيرُ
وَمَا الشُّؤْمُ فِي نَعْبِ الْغُرَابِ وَنَعْقِهِ وَمَا الشُّؤْمُ إِلاَّ نَاقَةٌ وَبَعِيرُ

وقال ابن عبد ربه في ذلك[٣١٦]:

نَعَبَ الْغُرَابُ فَقُلْتُ أَكْذَبُ طَائِرٍ إِنْ لَمْ يُصَدِّقْهُ رُغَاءُ بَعِيرِ
رَدُّ الْجِمَالِ هُوَ الْمُحَقِّقُ لِلنَّوَى بَلْ شَرُّ أَحْلاَسٍ لَهُنَّ وَكُورُ

كما قال أبو الشيص يوضح سبب التطير من الإبل[٣١٧]:

---

[٣١٣] ذو الرمة: ديوان ذي الرمة، ج ٢، ص ٨٦٢؛ ابن تنباك: الزجر، ص ٢٦.

[٣١٤] ابن رشيق: العمدة، ج٢، ص ٢٦٢؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٣٨.

[٣١٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ١٦٩.

[٣١٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ١٦٩.

[٣١٧] الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٥٠؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٦٠٨؛ الحصري: زهر الآداب، ج ١، ص٥٢٦.

www.mtenback.com

مَـا فَـرَّقَ الأَحْبَـابَ بَعْـدَ اللهِ إِلاَّ الإِبِـلُ
وَالنَّـاسُ يَلْحُـونَ غُـرَا بَ الْبَيْـنِ لَمَّـا جَهِلُـوا
وَمَـا إِذَا صَـاحَ غُـرَا بٌ فِـي الدِّيَـارِ احْتَمَلُـوا
وَمَـا عَلَـى ظَهْـرِ غُـرَا بِ الْبَيْـنِ تُطْـوَى الرَّحَـلُ
وَمَـا غُـرَابُ الْبَيْـنِ إِلاَّ نَاقَـةٌ أَوْ جَمَـلُ

وأعلن بعض الشعراء، أن المتشائمين من الطير على خطأ، وأن الحق أن يتطيروا من الجمال، فهي وسيلة تشتيت الأقارب والأحباب أما الغراب فقد يكون سعدًا أحيانًا وقد يبشر بدنوّ النائي، أما الجمال فإذا قرّبن إلى الحيّ فليس لذلك من معنى غير الارتحال والبعد[٣١٨]:

غَلِـطَ الَّذِيْـنَ رَأَيْتَهُـمْ بِجَهَالَـةٍ يَلْحُـونَ كُلُّهُـمُ غُرَابًـا يَنْعَـقُ
مَـا الذَّنْـبُ إِلاَّ لِلْجِمَـالِ فَإِنَّهَـا مِمَّـا يُشَـتِّتُ شَـمْلَهُمْ وَيُفَـرِّقُ
إِنَّ الْغُرَابَ بِيُمْنِـهِ يُدْنِـي النَّـوَى وَيُشَتِّتُ الشَّـمْلَ الجَمِيْـعُ الأَيْنَـقُ

ومع تطير الكثيرين من الإبل لأنها مطية السفر، وسبب فرقة الأحباب، إلا أن بعضهم رفض ذلك، وجعل هذا التطير بعيدًا عن الحقيقة، وقرر أنه لن يبغض الإبل، ولو كانت سبب حتفه، لأنها في حقيقة الأمر مصدر رزقه، فقال[٣١٩]:

زَعَمُوا بِأَنَّ مَطِيَّهُـمْ سَـبَبُ النَّـوَى وَالْمُؤْذِنَـاتُ بِفُرْقَـةِ الأَحْبَـابِ
وَلَوَانَّهَـا حَتْفِـي لَمَـا أَبْغَضْتُهَـا وَلَهَا بِهِـمْ سَـبَبٌ مِـنَ الأَسْـبَابِ

(٣١٨) الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٥٠؛ ابن تنباك: الزجر، ص٨-٩.

(٣١٩) الأبشيهي: المستطرف، ص ٥٢٤؛ الحصري القيرواني: زهر الآداب، ج١، ص ٥٢٦.

www.mtenback.com

وتطير العرب من الظبي أيضًا. وممن أبدى تطيره منه عنترة بن شداد حيث قال[٣٢٠]:

طَرِبْتَ وَهَاجَتْكَ الظِّبَاءُ السَّوَارِحُ غَدَاةَ غَدَتْ مِنْهَا سَنِيْحٌ وَبَارِحُ

كما تطير من الظباء ابن مقبل ورأى أنها حالت دون حبه العميق لمحبوبته (دهماء) ذلك الحب الذي شغفه، وأخذ بمكامن نفسه، فقال[٣٢١]:

فَقُلْتُ وَقَدْ جَاوَزْنَ بَطْنَ خُمَاصَةٍ جَرَتْ دُوْنَ دَهْمَاءَ الظِّبَاءِ الْبَوَارِحِ

فكأن الظباء وقفت حاجزًا بينه وبين حبيبته دهماء.

وتطير الصمة القشيري من ظباء الأخربين وذئابها لما جلبته من شؤم ونحس حين رآها وبرفقتها ذئب، فقال[٣٢٢]:

وَيَوْمًا بِقَاعِ الأَخْرِبِيْنَ جَرَى لَنَا بِنَحْسٍ ظِبَاءُ الأَخْرِبِيْنَ وَذِيْبُهَا

كما تطير زهير بن أبي سلمى من الظبي، ورأى أنه أعلمه بسفر حبيبته، فكأنه كان نذيرًا بالفراق والبعد، فقال[٣٢٣]:

فَلَمَّا أَنْ تَحَمَّلَ أَهْلُ لَيْلَى جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ الظِّبَاءُ

جَرَتْ سُنَحًا فَقُلْتُ لَهَا أَجِيْزِي نَوَى مَشْمُولَةً فَمَتَى اللِّقَاءُ

وتطير جرير من الظباء البوارح، وطلب من رفيقيه أن يعوذا بالله ويستجيرا به مما رأياه بين أيديهما من مرور الظباء في ذلك اليوم، فقال[٣٢٤]:

---

[٣٢٠] عنترة بن شداد: ديوان عنترة، ص١٤١؛ ابن تنباك: الزجر، ص٢٦.

[٣٢١] ابن تنباك: الزجر، ص٢٦-٢٧ نقلاً عن ديوان ابن مقبل، ص١٦.

[٣٢٢] ابن تنباك: الزجر، ص٢٧ نقلاً عن ديوان الصمة القشيري، ص٣٤.

[٣٢٣] زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير، ص ٨.

[٣٢٤] جرير: ديوان جرير، ص ٢٦٧.

www.mtenback.com

قِفَا وَاسْتَجِيْرَا اللهَ أَنْ تَشْحَطَ النَّـــوَى غَدَاةَ جَرَى ظَبْـــيٌ بِحَوْمَـــلَ بَـــارِحُ
إِذَا مَا أَرَدْنَا حَاجَـــةً حَـــالَ دُوْنَهَـــا كِلاَبُ الْعِدَا مِنْهُـــنَّ عَـــاوٍ وَنَـــابِحُ

كما تطير العرب من الغول، وزعموا أن الرجل إذا انفرد في الصحراء، ظهرت له في خلقة الإنسان فلا يزال يتبعها حتى يضل عن الطريق، فتدنو منه، وتتمثل لـــه في صور مختلفة فتهلكه روعًا. وقالوا إنها إذا أرادت أن تضل إنسانًا أوقـــدت لـــه نـــارًا فيقصدها، ثم إذا يمم نحوها انتقلت فجأة إلى مكان آخر وهكذا يظل يتبعها وهي تتنقل به وتبعده عن الطريق الذي يريد، فلا يدري بعد ذلك أين يسير. ووصفوا خلقتها بأنها خلقة إنسان، ورجلاها رجلا حمار[٣٢٥] . قال عبيد بن الأبرص يتحدث عنها[٣٢٦]:

وَسَـــاحِرَةٍ عَيْنَـــيَّ لَـــوْ أَنَّ عَيْنَهَـــا رَأَتْ مَا أُلاَقِيْهِ مِـــنَ الْهَـــوْلِ جَنَّـــتِ
أَبِيْـــتُ وَسَـــعْلاَةٌ وَغُـــولٌ بِقَفْـــرَةٍ إِذَا اللَّيْلُ وَارَى الْجِنَّ فِيْـــهِ أَرَنَّـــتِ

وقال أهل اللغة: إن الغول من السعالي، وهي إناث الشياطين، سميـــت بذلـــك لأنها بزعمهم تغتالهم، أو لأنها تتلون كل وقت، وهم يقولون للأشياء الـــتي تتلـــون (تغولت) كما في قولهم: تغولت على البلاد: إذا اختلفت. قال أبو الأســـود الـــدؤلي يعاتب زيادًا في الذي كان منه، ويذكر أنه لا يتلون تلون الغول[٣٢٧]:

أَلَـــمْ تَـــرَ أَنِّـــي لاَ أُلَـــوِّنُ شِـــيْمَتِي تَلَوُّنَ غُولِ اللَّيْلِ بِـــالْبَلَدِ الْمَقْضِـــي

كما قال كعب بن زهير في تلون الغول[٣٢٨]:

فَمَا تَدُومُ عَلَى حَـــالٍ تَكُـــونُ بِهَـــا كَمَا تَلَـــوَّنُ فِـــي أَثْوَابِهَـــا الْغُـــوْلُ

---

[٣٢٥] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص٣٤٨.

[٣٢٦] الألوسي: بلوغ الأرب: ج ٢، ص ٣٤٩. والغول وهم لا حقيقة له.

[٣٢٧] أبو الأسود الدؤلي: ديوان أبي الأسود، ص ٤٦.

[٣٢٨] الألوسي: بلوغ الأرب، ج٢، ص ٣٤٨.

www.mtenback.com

ومن تطيرهم من الغول، رأوا أنها إذا ضُرِبَتْ بالسيف ضربة واحدة، هلكت، وإذا ضربت ثانية عاشت. وإلى هذا المعنى أشار أبو البلاء الطهوي، وقيل تأبط شرًا[٣٢٩]:

فَقَالَتْ: ثَنِّ!! قُلْتُ لَهَا رُوَيْدًا ... مَكَانَكِ إِنَّنِي ثَبْتُ الْجَنَانِ

لَقِيْتُ الْغُولَ تَسْرِي فِي ظَلَامٍ ... بِسُهْبٍ كَالْعَبَاءَةِ صَحْصَحَانِ

فَقُلْتُ لَهَا: كِلاَنَا نِضْوُ أَرْضٍ ... أَخُو سَفَرٍ فَخَلِّي لِي مَكَانِي

فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى ... لَهَا كَفِّي بِمَصْقُولٍ يَمَانِي

فَقَالَتْ: زِدْ!! فَقُلْتُ رُوَيْدَ إِنِّي ... عَلَى أَمْثَالِهَا ثَبْتُ الْجَنَانِ

وقد ذهب كثيرون إلى أنه لا وجود للغول، ومن هؤلاء ابن هشام الذي قال: إن للعرب أمورًا تزعمها لا حقيقة لها. منها أن الغول تتراءى لهم في الفلوات، وتتلون لهم، وتضلهم عن الطريق [٣٣٠]. وذهب المحققون إلى أن الغول شيء يخوف به ولا وجود له. قال الشاعر[٣٣١]:

الْغُولُ وَالْخِلُّ وَالْعَنْقَاءُ ثَالِثَةٌ ... أَسْمَاءُ أَشْيَاءَ لَمْ تُوْجَدْ وَلَمْ تَكُنِ

هذا وقد تطير بعضهم من الإنسان نفسه، واستأنس بالذئب إذ عوى. قال أحد الشعراء في ذلك[٣٣٢]:

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذِّئْبِ إِذْ عَوَى ... وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيْرُ

---

[٣٢٩] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٤٢.

[٣٣٠] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٤٦.

[٣٣١] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٤٧.

[٣٣٢] الجاحظ: الحيوان، ج ١، ص ٤٣٨؛ ابن رشيق: العمدة، ج٢، ص ٢٥٩.

www.mtenback.com

كما تطير العرب من بعض الفواكه مثل الأترج، وذلك لاختلاف لونه بين الظاهر والباطن، قال الشاعر[٣٣٣]:

أَهْدَى إِلَيْهِ حَبِيبُهُ أُتْرُجَّةً ... فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَافَةِ زَاجِرِ

خَافَ التَّبَدُّلَ وَالتَّلَوُّنَ إِنَّهَا ... لَوْنَانِ بَاطِنُهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ

كما تطيروا من غسل بعض الثمار حتى لو كانت ملوثة بالتراب، لاعتقادهم أن الملائكة متعلقة بقشورها، مثل التين، وتطيروا من غسل الزيتون قبل تكسيره أو تحزيزه[٣٣٤]، لأن الله أقسم بالتين والزيتون كما هي على الشجرة.

وكما تطير العرب من العاطوس وهي سمكة في البحر، أو دابة من الحيوانات، قال طرفة بن العبد[٣٣٥]:

لَعَمْرِي لَقَدْ مَرَّتْ عَوَاطِيسُ جَمَّةٌ ... وَمَرَّ قُبَيْلَ الصُّبْحِ ظَبْيٌ مُصَمَّعُ

كما تطيروا من حركات كثيرة تصدر من الإنسان أو الحيوان، كالتثاؤب والعطاس. فرأوا أن التثاؤب عمل من أعمال الشيطان، وأما العطاس فقد كان أثره في التطير كبيراً. وربما يعود سبب تطيرهم إلى أن اسمه على اسم دابة العاطوس التي كانوا يكرهونها[٣٣٦]. وكان امرؤ القيس يتطير من العطاس، حتى إنه كان إذا سمع عطاساً توقف عن العمل الذي يريد القيام به، ولذلك فإنه إذا أراد الصيد تنبه مبكراً قبل أن يتنبه الناس من نومهم لئلا يسمع عطاساً، فيتشاءم فلا يخرج. وقال في ذلك[٣٣٧]:

---

[٣٣٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص١٣٩-٣٠٢.

[٣٣٤] الأبشيهي: المستطرف، ص٥٢٤.

[٣٣٥] لم أجد البيت في ديوان طرفة بن العبد، انظر عنه الدميري: حياة الحيوان، ج٢، ص١٢١-١٢٢.

[٣٣٦] الأبشيهي: المستطرف، ص٥٢٣.

[٣٣٧] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص ١٧٢؛ جواد علي: المفصل، ج٦، ص٧٩٩؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص٣٣١.

www.mtenback.com

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الْعُطَـــاسِ بِهَيْكَـــلٍ شَدِيْدٍ مِشَكِ الْجَنْبِ فَعْـــمِ الْمَنْطِـــقِ

وقال آخر[٣٣٨]:

وَخِرْقٍ إِذَا وَجَّهْـــتَ فِيْـــهِ لِغَـــزْوَةٍ مَضَيْتَ وَلَمْ يَحْبِسْكَ عَنْهُ الْعَوَاطِـــسُ

وكان العرب في الجاهلية يتجنبون العطاس قدر إمكانهم، ويحاولون جهدهـــم حبسه وكتمه. فإذا عطس الوضيع المغمور، أسمعوه كلامًا مُرًا فيه رد للشؤم والتطـــير على صاحب العطاس، كأن يقولوا له «وريًا وقحابًا»[٣٣٩]، أو «بك لا بي»، أي أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لا بي. أما إذا كان العاطس معروفًا محبوبًا شريفًا، قـــالوا له: «عُمرًا وشبابًا» وكلما كانت العطسة شديدة، كان التشاؤم منها أشد[٣٤٠].

ومن القصص التي تحكى عن التطير من العطاس، أن بعض الملوك كان له سامر عطس عطسة شديدة راعته. فغضب الملك، فقال سميره: والله ما تعمدت ذلك ولكـــن هذا عطاسي. فقال له الملك: والله لئن لم تأتني بمن يشهد لك بذلك لأقتلنك!! فقـــال: أخرجني إلى الناس لعلي أجد من يشهد لي. فأخرجه وقد وكل به الأعـــوان، فوجـــد رجلاً فقال: يا سيدي، نشدتك بالله إن كنت سمعت عطاسي يومًا، فلعلك تشهد لي به عند الملك، فقال: نعم، أنا أشهد لك. فنهض معه، وقال: يا أيها الملك أنا أشـــهد أن هذا الرجل عطس يومًا، فطار ضرس من أضراسه، فقال له الملك: عـــد إلى حديثـــك ومجلسك [٣٤١].

---

[٣٣٨] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٣٢.

[٣٣٩] الوري: داء يصيب الكبد فيفسدها. والقحاب: هو السعال.

[٣٤٠] ابن منظور: اللسان، مادة شمت؛ الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٣٢.

[٣٤١] خليفة: الطيرة والفأل، ص ٢٦.

www.mtenback.com

ويسمى الدعاء للعاطس التشميت والتسميت، وقد نهى الإسلام عن التشاؤم بالعطاس، فجعله محبوبًا بحديث «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب»[٣٤٢]. وجعل بدلاً مما كان عليه أهل الجاهلية من الدعاء عليه بالمكروه، الدعاء له بالرحمة[٣٤٣].

وقد أكد العلماء أن سبب العطاس محمود، وهو خفة الجسم التي تكون لقلة الأخلاط، وتخفيف الغذاء، وهو مندوب لأنه يضعف الشهوة ويسهل الطاعة [٣٤٤]. وقيل إنه ريح مختنقة تخرج وتفتح السدود من الكبد، وهو دليل جيد للمريض، مؤذن بانفراج بعض علته [٣٤٥].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

[٣٤٢] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٥٧٥٥، ٥٧٥٨.

[٣٤٣] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٣٢.

[٣٤٤] النووي، يحيى بن شرف: الأذكار، بيروت ودمشق، المكتبة الأموية (١٩٧٨م) ص ٢٤٠.

[٣٤٥] الألوسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ٣٣٣؛ محمود خليفة: الطيرة والفأل، ص ٢٨.

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى... الآية﴾	٢٥٩	٢٣
	﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ... الآية﴾	١١٧	٤٦
	﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ... الآية﴾	٢١٦	٣٥
آل عمران	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... الآية﴾	١٥٩	٤٥
	﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ... الآية﴾	٤٧	٤٦
الصافات	﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا... الآية﴾	٢	٩
الحديد	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي... الآية﴾	٢٢،٢٣	٤٦-٤٧
الطلاق	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ... الآية﴾	٣	٤٥
النازعات	﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ... الآية﴾	١٤	٩

موقع الدكتور مرزوق التنباك
www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«إذا تبيغ بأحدكم الدم فليحتجم...»	٦٩
«أخذنا فألنا من فيك...»	١٤
«أصدق الطير الفأل...»	١١
«إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب...»	١٠٢
«تفاءلوا بالخير تجدوه...»	٥
«خذ إليك أبا الأملاك...»	٢٢
«ذروها وهي ذميمة....»	٢٠
«سلمت لنا الدار في يسر...»	١٤
«كيف اسمك ؟ قال حزن ، فقال : بل سهل...»	١٤
«لا عدوى ولا طيرة...»	١١
«اللهم فقه في الدين وعلّمه التأويل....»	٢٢
«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله....»	٤٥
«ليس منا من تطيّر...»	١١
«يا راشد يا نجيح...»	١٤

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ى ـــ		
نرمي	بالكلى	جرير	١	٨٤
وطار	النهى	امرؤ القيس	١	٨٥
		ـــ ء ـــ		
جرت	اللقاءُ	زهير بن أبي سلمى	١	٨٧
فلمّا أن	الظباءُ	زهير بن أبي سلمى	٢	٩٧
		ـــ ا ـــ		
وبيّن	فطربّا	حسان بن ثابت	٢	٨٦
يا هند	أحسبا	امرؤ القيس	٣	٢٥
مازلزلت	طربا	–	١	١٩
رأيت	الشبابا	كثير بن عبدالرحمن	٣	٢٨
أنبأتك	نعبا	عامر بن جوين	٢	٦٠
ويوماً	وذيبُها	الصمة القشيري	١	٩٧
ألا نعق	الغرابُ	هدبة بن الخشرم	٢	٩٢
ولقد	أغضب	عبيد بن الأبرص	٢	٣٧
وما عاجلات	نجيب	ضابىء بن الحارث	٣	٧٥
ولا تزقوَنْ	عائب	–	٢	٧٨
زجرت	اجتنابها	أبوذؤيب الهذلي	١	٦٥
أضاحك	جديب	حاتم الطائي	٢	٤٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
أبلغا	الكواكب	–	٢	٤١
هم	مرازبُهْ	–	٢	٧٢
وما أنا	ثعلب	الكميت	٢	٣٦
وجرت	تنعب	سراقة البارقي	٢	٣٧
بآية	الغراب	أمية بن أبي الصلت	١	٨٩
إني أخاف	غرابُها	الأعشى	١	٩١
إذا يمّمن	الغرابُ	عامر بن الطفيل	١	٩١
ولا ينفع	أرنبِ	امرؤ القيس	١	٢٦
السيف	اللعبِ	أبوتمام	١	٤١
تلاقيها	غيهبِ	امرؤ القيس	١	٧٩
نعب	فانعبِ	جرير	١	٩٢
أمن دمنة	فالهضابِ	لقيط بن زرارة	٢	٨٦
تيممتُ	لهب	كثير عزة	٥	٩٠
نعب	الحوشب	–	٢	٩٣
زعموا	الأحبابِ	–	٢	٩٦
— ت —				
لو أشرب	غنيتُ	–	١	٢٨
غموم	ضرّتِ	كثير بن عبدالرحمن	٢	٦٠
وساحرة	جنّتِ	عبيد بن الأبرص	٢	٩٨
— ج —				
إذا تضايق	الفرجِ	–	١	٥٠
إن الغراب	التشحاجِ	جرير	٢	٩٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
نعق	يسمعِ	عمر بن أبي ربيعة	٢	٨٦
		ـ ح ـ		
ما تعيف	برحْ	الأعشى	١	٨٣
أربتُ	السنيحا	أبو ذؤيب الهذلي	١	٢٥
جرى	بارحُ	ذو الرمة	٢	٩٥
طربتَ	بارحُ	عنترة بن شداد	١	٩٧
ألا يا غراب	قبيحِ	جميل بن معمر	٤	٩٠
جرى	سنيحُ	أبو دحية النميري	٦	٢٠
أمن أجل	يسفحِ	–	٢	٩٣
جرت	متيحِ	جران العود	٢	٧١
قفا	بارحِ	جرير	٢	٩٨
ألم تدرِ	رائحُ	الراعي النميري	٣	٣٤
ولم نخشَ	بارحُ	كثير بن عبدالرحمن	١	٤٠
وإذا تكون	بارحِ	–	١	١٧
جرى	بارحِ	الخنساء	١	٧٦
فقلتُ	البوارحِ	ابن مقبل	١	٩٧
		ـ د ـ		
خليليّ	واسعدا	ذو الرمة	١	١٣
الحين	بلدا	–	٢	٧٣
زعم	الأسودُ	النابغة الذبياني	١	٥٤، ٨٤
زعم	الموعودُ	عامر بن الطفيل	٤	٨٢
رحل	حادي	جميل	٢	٩١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
سواءٌ	بأسعدِ	زهير بن أبي سلمى	١	٦٨
حلبت	المزيدِ	عبد المسيح بن بقيلة	٣	٤٠
ولقد سقيت	أزددِ	الشمردل	١	٢٩
ويهماءَ	فيّادها	الأعشى	١	٧٩
		— ر —		
أبعد	أدبرا	تأبط شراً	١	٦٣
بكى	بقيصرا	امرؤ القيس	٣	٣٤
وعارضني	مرّا	القطامي	٢	٦٤
أبا المعارك	كرّارا	—	٢	٥٠
فدع	وهجرا	امرؤ القيس	١	٣٤
الخير	مطره	عبيد بن الأبرص	١	١٢
إذا المرء	فأكثرا	عروة بن الورد	٤	٣٢
لو كنت	المقبورا	امرؤ القيس	١	٥٨
أهدى	مستعبرا	—	٢	٧١
عوى	أطيرُ	—	١	٩٩
فلما عرفتُ	المتطيرُ	عمر بن أبي ربيعة	٣	٧٥
وإن أخاكم	الأعاصير	مفلس الفقعسي	٢	٨٠
أقول	أستثيرُها	كثير بن عبدالرحمن	٢	٥٥
فلو نبأتني	ناصرُ	تأبط شراً	١	٦١
فألقت	المسافرُ	قتيبة بن مسلم الباهلي	١	١٧
ألا يا غراب	خبيرُ	قيس بن ذريح	٢	٥٢
تخبر	خبير	زياد بن سيار	٥	٣٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
إذا قيل	لبصير	ابن الأعرابي	٣	٤٣
رأيت	خضر	ذو الرمة	٣	٧٠
رأيت	يطايرُهْ	كثير بن عبدالرحمن	٤	٨٩
ألا يا غراب	جديرُ	جميل بن معمر	٢	٩١
لهن	كسيرُ	–	٢	٩٥
قالت	سفرِهْ	–	١	٣٠
خليليّ	صدري	جرير	٢	١٣
فقالت	بمحضر	عمر بن أبي ربيعة	٢	٢٥
قالوا	عسير	الجمال	٣	١٨
مطلاً	المشهر	عروة بن الورد	١	٦٥
عجباً	تغرير	محمد بن بشير	٢	٣٥
وما صدقتك	بخابرِ	–	١	٥٢
قام	الثمر	الحسن بن هانيء	٢	٢٣
أنشأت	الدوائر	الكميت	٣	٥٣
وإذ لمتي	العنبرِ	جميل بن معمر	٢	٨٥
زجرنا	لزجرِ	قيس بن الخطيم	٢	٦٧
أهدى	زاجرِ	–	٢	١٠٠
— ز —				
أحب	عاجزْ	–	٢	١٦
— س —				
وخرقٍ	العواطسُ	–	١	١٠١
وتسمع	النواقسُ	المرقش الأكبر	١	٧٩
قطعتُ	الدردبيسِ	–	١	٢٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ص ـ		
فما بالعار	الخبيصِ	–	٢	٨٥
		ـ ط ـ		
منع	منبسطِ	محمود الوراق	١	٤٤
		ـ ع ـ		
وبلدةٍ	الشيعا	الأعشى	٤	٧٩
كسرنا	ضياعا	–	١	٢٧
هو الجلاء	وقعا	لقيط بن معمر	٢	٣٨
أتجزع	القوارعُ	لبيد بن ربيعة	٣	٣٨
لعمرك	صانع	–	١	٣٩
فلا أنا	جازع	عروة بن الورد	١	٣٢
أرى	ستقلع	–	٣	٤٣
ليالي	متشيع	ذو الرمة	٢	٦٢
إذا ما رأت	تفزع	–	١	٨٤
عشية	مولع	–	٢	٩٣
ظعن	الأبقعِ	عنترة بن شداد	٤	٨٨
لعمري	مصمع	طرفة بن العبد	١	١٠٠
أما واللهِ	اليفاعِ	–	٢	٢٧
أيا قلب	بدافعِ	–	٣	٤٦
إذا لم	بنافعِ	–	٢	٤٩
		ـ ف ـ		
فقالت	أعيف	أبو ذؤيب الهذلي	١	٨١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فقلتُ	عائفُ	عمر بن أبي ربيعة	١	٢٥
وبالأمسِ	عائف	القطامي	١	٦٤
وقد أنبأتني	أتعيف	عبدالله بن ثور العامري	١	٦٣
فبينا	دفوف	أبو ذؤيب الهذلي	٢	٨٠
ـــ ق ـــ				
فعدّ	نعقا	زهير بن أبي سلمى	٢	٨٧
ذرى	حريقُ	ابن مفرغ الحميري	١	٣٩
وما كان	نعيقُ	جران العود	١	٣٥
أعلل	الأحمق	–	١	٥٠
لو كان	نطقوا	عبدالله بن قيس الرقيات	٢	٧٣
غلط	ينعقُ	–	٣	٩٦
وقد أغتدي	المنطقِ	امرؤ القيس	١	١٠١
ـــ ك ـــ				
وفي كل	عزائكا	الأعشى	٢	٦٤
ـــ ل ـــ				
يا غراب	فُعلْ	ابن الزبعرى	١	٨٣
وعاداني	قتيلا	عنترة بن شداد	١	٨٨
إذا قطناً	أخيلا	الفرزدق	١	٨١
ما كان	مبذّلا	أنشد أبو الشمقمق	٢	١٨
أما ترى	الأقلاّ	–	٣	٢٦
أأدرك	أني لها	كثير بن عبدالرحمن	٢	٦٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
الزجر	أقفالُ	–	١	٤٦
لا ترقبِ	زحلُ	–	١	٤٠
سميتهُ	سبيلُ	ابن كناسة	٢	١٧
لئن مصر	آملُ	أبو دهمان الغلابي	٣	٣٥
تراه	سائلهْ	زهير بن أبي سلمى	١	٣٠
لا يعلم	الفالُ	–	٢	٤٨
ما فرّق	الإبل	أبو الشيص	٥	٩٦
فما تدوم	الغولُ	كعب بن زهير	١	٩٨
كل امرىء	نعله	–	١	٣٦
وكلٌ	شمائلُهْ	أبو الأسود الدؤلي	٢	٦٧
وما المرء	ولا آلِ	امرؤ القيس	١	٣٣
يحجل	الحجولِ	–	٥	٢١
أعلل	الأملِ	–	١	٤٩
إذا صاح	اللآلِي	عنترة بن شداد	٣	٨٧
— م —				
إنك	وهَمْ	أوس بن حارثة	٦	٢٤
لقد زجرت	ألَمْ	بشر بن أبي خازم	٢	٢٤
وهوّن	حاتما	خفاف بن ندبة	١	٣٧
أكلتُ	أقدما	خفاف بن ندبة	٢	٥٠
أخذتُ	مسلّما	خفاف بن ندبة	١	٢٩
إذا انقلبت	ترنما	حاتم الطائي	٢	٦٥
عيّوا	الحمامَهْ	عبيد بن الأبرص	٢	٧٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ومن تعرض	مشؤومُ	علقمة الفحل	١	٤٧
ومن تعرض	مشؤومُ	أبو الوضاح	٣	٧٤
وليس	حاتمُ	الخيثم بن عدي	٢	٣١
أخذ	زلُمْهْ	طرفة بن العبد	١	٥٨
أرقت	الهمومُ	طرفة بن العبد	٤	١٥
ولست	طعامُ	أوس بن حجر	١	٣٠
أترحل	تظلم	أوس بن حجر	٢	٤٨
عجبتُ	الإمام	سليمان الأعمى	٢	٧٦
هن	حمام	حاتم الطائي	١	٧١
سلط	هامُ	أبو داؤد الإيادي	١	٧٨
تلافاهما	بأشامِ	الأعشى	١	٧٦
لا يزجر	بأزلامِ	الحطيئة	١	٥٨
فلقد	وحاتمِ	المرقش	٦	٣٠
تداركتما	منشمِ	زهير بن أبي سلمى	١	٦٨
ولست	النجومِ	زهير بن أبي سلمى	٢	٤٥
هذا تبدد	الهمِّ	زهير بن أبي سلمى	٢	١٩
وإني لأثوي	جرمي	أبو خراش الهذلي	٤	٣٣
طيرة	بلومِ	أبو خراش الهذلي	٣	٣٦
ـــ ن ـــ				
يا ذا الذي	محسنا	أبو خراش الهذلي	٢	٧١
الغول	تكنِ	أبو خراش الهذلي	١	٩٩
فقالت	الجنانِ	أبو خراش الهذلي	١	٩٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لقيت	صحصحان	أبو البلاء الطهوي	٤	٩٩
ياعمرو	اسقوني	ذو الإصبع العدواني	٤	٨٠
فهلا	الدبرانِ	الأخطل	١	٦١، ٧٦
جعلت	شفياني	عروة بن حزام	٣	٢٩
سقوني	سقاني	–	١	٢٨
ألا ياغرابي	تنتحبانِ	عروة بن حزام	٢	٣٨
لو كان	وطعانِ	لبيد بن ربيعة	١	٥٣
ومازلت	المغربينِ	–	٣	٦٤
أشاقك	بانِ	أبو الشيص	٤	٧٠، ٩٤
يظنان	يصفانِ	جهم الهذلي	٢	٣٩
ألم تر	عميانِ	–	٣	٤٧
جعلت	شفياني	عروة بن حزام	٣	٥٧
تغنى	بانِ	سوار بن المغرب	٢	٧٠
أقول	بانِ	–		٧٠
		ـ ي ـ		
ألا ياغراب	شماليا	–	٣	٨٧
ألم تر	المقضي	أبو الأسود الدؤلي	١	٩٨

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«أخرق من حمامة»	٧٧
«أشأم من البسوس»	٦٧
«أشأم من عطر منشم»	٦٨
«أشأم من غراب البين»	٨٣
«أعز من الغراب الأعصم»	٨٤
«امرأة عقرى حلقى»	٧٤
«امرأة مشؤومة»	٧٤
«بك لا بي»	١٠١
«بفيك الكثكث»	٨٨
«حتى يشيب الغراب ويبيض القار»	٨٥
«طار غراب البين»	٨٥
«عمراً وشبابـاً»	١٠١
«لا قيت أخيل»	٨١
«قد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ماقضاها ولا يئست منها ...»	٤٩
«ما أكثر الوضح عندكم»	١٥
«من لايلد لا ولد»	٧٤
«من لي بالسانح بعد البارح»	٦٤
«هذا الأمر سيكون في ولدي»	٢٢
«هذا أوان مانـــأمل ونرجو من ذلك لانقضاء مئة من التاريخ ...»	٢٣
«وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق»	٢٣
«وديا وقحابا»	١٠١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المثـــل	الصفحة
«وقعوا في أرض لا يطير غرابها»	٨٤
«وليملكن ابناي هذان ماتملكه»	٢٢

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد:

المستطرف من كل فن مستظرف، مؤسسة عز الدين، ط١، ١٩٩١م.

ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد:

النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت.

ابن الأثير، علي بن محمد:

الكامل في التاريخ، بيروت، دار بيروت ودار صادر، ١٩٦٥م.

الأخطل، غياث بن غوث التغلبي:

شعر الأخطل، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٩م.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله:

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ط٨، ١٩٩٦م.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن:

الأغاني، القاهرة، دار الكتب، د.ت.

الأصبهاني، أبو بكر محمد بن داود:

الزهرة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الأردن، مكتبة المنار، ط٢، ١٩٨٥م.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٨٣م.

www.mtenback.com

الألوسي، محمود شكري:

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه وصححه محمد بهجة الأثري، بيروت، دار الكتب العلمية د.ت.

امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر:

ديوان امرىء القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م.

الأنباري، محمد بن القاسم:

الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، المطبعة الحكومية ١٩٦٠م.

أويس، وفاء خان زادة:

شرح منهاج اليقين في أدب الدنيا والدين، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٨٠م.

البارقي، سراقة بن مرداس الأصغر:

ديوان سراقة البارقي، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٤٧م.

البخاري، أبو عبدالله محمد:

صحيح البخاري، تحقيق: قاسم الرفاعي، بيروت، دار القلم، ١٩٨٧م.

بيطار، أمينة:

تاريخ العصر العباسي، دمشق، جامعة دمشق، ط٤، ١٩٩٢م.

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان:

الزجر في وجدان العرب، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس.

www.mtenback.com

الثعالبي، عبد الملك بن محمد:

يتيمة الدهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الفكر د.ت.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، القاهرة، مطبعة الظاهر، ١٩٠٨م.

الجاحظ، عمرو بن بحر:

- الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، د.ت.
- البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٤، ١٩٧٥م، في الأجزاء ١، ٣، ٤ أما الجزء الثاني فهو الطبعة الثانية لدار ومكتبة الهلال في بيروت سنة ١٩٩٢م، ومن تقديم علي أبو ملحم.
- المحاسن والأضداد، تحقيق: عاصم عيتاني، بيروت، دار إحياء العلوم ١٩٨٦م.

الجاسم، محمود خليفة:

الطيرة والفأل في ضوء الكتاب والسنة، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٢م.

جرير، بن عطية الكلبي:

ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، القاهرة - دار المعارف، ط٣ د.ت.

جميل بثينة، جميل بن معمر العذري:

ديوان جميل بثينة، شرح: أحمد عدرة، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٦م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي:

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.

www.mtenback.com

العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي:

فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تقديم: إبراهيم محمد الجمل، نسخة مصححة ومدققة على نسخة الشيخ عبدالعزيز بن باز، د.ط.ت.

الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي:

زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت دار الجيل، ط٤، د.ت.

الحطيئة، جرول بن أوس:

ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٨٧م.

ابن حنبل، أحمد بن محمد:

مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد عاشور، القاهرة، دار الاعتصام ١٩٧٤م.

الحوفي، أحمد محمد:

المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٣ ١٩٨٠م.

ابن أبي خازم، بشر الأسدي:

ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق عزة حسن، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ط٢، ١٩٧٢م.

ابن الخطيم، قيس بن الخطيم بن عدي:

ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره، تحقيق: ناصر الدين الأسد، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٦٧م.

www.mtenback.com

أبو داود، سليمان بن الأشعث:

سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

الدميري، محمد بن موسى:

- حياة الحيوان الكبرى، القاهرة، مطبعة بولاق، د.ت.

- ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين، ومحمود أبو الوفاء، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.

الدؤلي، أبو الأسود ظالم بن عمرو:

ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧٤م.

ذو الرمة، غيلان بن عقبة:

ديوان ذي الرمة، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح، بيروت، مؤسسة الإيمان، ط٢، ١٩٨٢م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد:

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.

ابن أبي ربيعة، عمر بن عبدالله:

ديوان عمر بن أبي ربيعة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

ابن رشيق، أبو علي الحسن:

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الجيل، ط٤، ١٩٧٢م.

www.mtenback.com

الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي:

تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة ١٣٠٦-١٣٠٧هـ.

زهير بن أبي سُلمى المزني:

ديوان زهير بن أبي سُلمى بشرح ثعلب، القاهرة، دار الكتب، ١٩٤٤م.

الطائي، حاتم بن عبدالله:

ديوان حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، ورواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة، مطبعة المدني، د.ت.

الطبري، محمد بن جرير:

- تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٧م.

- تفسير الطبري، أو جامع البيان في تفسير القرآن، القاهرة، مطبعة بولاق ١٣٢٣هـ.

طرفة بن العبد، عمرو بن العبد:

ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: فوزي العطوي، بيروت، دار صعب ١٩٨٠م.

العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين:

المخلاة، نسقه وفهرسه محمد خليل الباشا، بيروت، عالم الكتب، ط١ ١٤٠٥هـ.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد:

العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، بيروت، دار الفكر ١٩٤٠هـ.

www.mtenback.com

عروة بن الورد والسموءل:

ديوانا عروة والسموءل، بيروت، دار صادر، د.ت.

العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين:

شرح ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، مكتبة البابي، الحلبي ١٩٣٦م.

علقمة الفحل:

ديوان علقمة الفحل، بشرح الأعلم الشنتمري، ويليه جملة مما لم يذكر من شعره في هذا الشرح، تحقيق: مصطفى الصقال و دريه الخطيب، حلب، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٦٩م.

علي، جواد:

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت - دار العلم للملايين، بغداد، مكتبة النهضة، ط٢، ١٩٧٨م.

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم:

الأمالي د.م.ط.ت.

ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم:

الشعر والشعراء، تحقيق: عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٨هـ.

القلقشندي، أحمد بن علي:

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٣٥هـ.

كثير عزة، كثير بن عبدالرحمن:

ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة ١٩٧١م.

www.mtenback.com

لبيد بن ربيعة بن مالك العامري:

ديوان لبيد بن ربيعة العامري، بيروت، دار صادر د.ت.

مالك، مالك بن أنس بن مالك:

الموطأ، بيروت، دار النفائس، ط١، ١٩٧١م.

الماوردي، علي بن محمد:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، ١٩٥٥م.

المرتضى، علي بن الحسين الموسوي:

أمالي المرتضى، أو غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن:

شرح ديوان الحماسة، نشر: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٨م.

المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله المعروف بالبشاري:

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، ١٩٠٦م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.

www.mtenback.com